المولد والنشأة

ولد الشهيد عبد الله عزام في قرية سيلة الحارثية في لواء جنين وتقع في الشمال الوسط من فلسطين عام 1941م ، في حي اسمه حارة الشواهنة ، واسم والده الحاج يوسف مصطفى عزام الذي وافته المنية بعد سنة من استشهاد ابنه، أما والدته فهي زكية صالح حسين الأحمد ، من عائلة ثانية لها صلة قرابة بآل عزام، وقد وافتها المنية قبل استشهاد الشيخ عزام بسنة تقريبا ودفنت في مقبرة الشهداء ببابي .

وعائلة عزام عائلة مشهورة ولعل الشهرة التي حظيت بها هذه العائلة نتيجة بروز بطل من أبطالها وليث من ليوثها، يحمل الدعوة أولا وهو في سن مبكر، عرف بين أقرانه منذ صباه في طهره وصفائه وقربه من الله تعالى.

درج الشهيد على أراضي القرية ، فشب وترعرع في أحضان والديه، يسهران عليه، ويقومان برعايته وتربيته، وتنقل بين مرابع قريته وهو لم يتجاوز في سنه العقد الأول من حياته.

وكان الشهيد لامعا منذ طفولته المبكرة ، فكان يتردد على أرحامه وأقاربه من أسرته ، وليس غريبا أن يكون هذا النبوغ المبكر من الشهيد عبدالله وهو لم يتجاوز سن البلوغ بعد ، فقد شهد له أساتذته ومدير مدرسته بذلك وهولا يزال طالبا في المرحلة الابتدائية ، كما انخرط في صفوف الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون) وهو دون سن البلوغ ، ولهذا ليس غريبا أن نرى المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن (أبو ماجد) يتردد على قرية الشهيد وهو في مراحله الأولى من دراسته، وهو لا يزال في الصف السادس الإبتدائى كما ذكر هذا أبو ماجد بنفسه ، فقد كان يرى مخايل النجابة والذكاء تلوح على وجهه.

إجمالا فقد اشتهر وذاع صيته وهو لم يتجاوز العقد الرابع من عمره.

ولقد عرفه الناس مصليا تاليا للقرآن منذ نعومة أظفاره ، وعرفه أقرباؤه وعشيرته وأهل بلده ، وعرفته فلسطين ، كان لا يضيع لحظة واحدة من وقت فراغة ، بل وصل الأمر به أن يقوم الليل وهو في المرحلة الإبتدائية المتوسطة

تقول أمه الحاجة زكية: كنت أفيق في الليل فادخل عليه وإذا به يصلي ، فأقول له: يا ولدي رفقا بنفسك والزم فراشك واسترح ، فيقول لها: وهل لنا من راحة للنفوس والقلوب إلا بهذا ؟ أي بالعبادة (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

وقد غرس بفعله هذا حب قيام الليل والتهجد في نفوس أرحامه وأهله وعشيرته .

وقد كان ملازما للمسجد يحافظ على صلاة الجماعة، ومدرسا وواعظا يقرع آذان المصلين بالذكر والموعظة الحسنة .

تلقى الشهيد علوم الإبتدائية والإعدادية في مدرسة القرية ، ثم واصل تعليمه العالي بكلية خضورية الزراعية ، ونال منها دبلوما بدرجة إمتياز ، ورغم أنه كان أصغر أقرانه في الكلية إلا أنه كان أذكاهم .

يقول والد الشهيد: رغم أن عبد الله كان أصغر الطلاب سنا إلا أنه كان أذكاهم ، فكنت عندما أذهب لزيارته في خضورية الزراعية - طولكرم- كان الطلاب يتجمعون حولي عندما أصل ويحيطون بي ويقولون: تريد الولد الصغير؟! - لأنه كان أصغر أقرانه في الكلية - فأقول لهم: نعم أريد عبد الله.

وبعد تخرجه من خضورية تم تعيينه معلما في قرية أدر -جنوب الأردن- في منطقة الكرك ، والسبب في ذلك إبعاده عن بلده ومسقط رأسه ، نظرا للخلافات التي كانت قائمة بينه وبين مدير الكلية، حيث كان الشهيد من الأوائل ويعرفه القاصي والداني، ولكنه لم يكن يصبر على الضيم، ولا يقبل اللف والدوران، فكان لا يعرف المهادنة ، صلبا في الحق بل أحد من السيف ، مما أثار حفيظة المدير فتركت هذه الخلافات بعض الحساسيات التي جعلت مدير الكلية يثأر لنفسه ، بأن يوصي بتعيين الشهيد خارج الضفة الغربية كعقوبة له.

وبعد سنة من عمله نقل إلى مدرسة برقين [قضاء جنين] ، ويقول أحدهم المعلمين الذين كانوا يعملون معه : إن الشيخ عبد الله يختلف عن جميع المعلمين بكثرة تلاوته للقرآن ، وكلماته الحارة التي يبعثها من بين جنبيه للطلاب ، إن الأساتذة عندما ينصرفون من حصصهم إلى فترة الإستراحة -إلى غرفتهم- يتناولون السندوشات ويشربون الشاي، إنه يذهب لوحده إلى إحدى غرف المدرسة وقد خلت من الطلاب، يقرأ القرآن ولا يضيع لحظة واحدة من فراغه دون أن يستفيد منها.

لكن الشهيد لم يقف عند هذا الحد في التحصيل العلمي ، فقد كان شغوفا بدراسة الشريعة فقد إنتسب الشيخ الشهيد إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق ونال منها شهادة الليسانس في الشريعة بتقدير جيد جدا عام 1966م.

صلة الشهيد بعلماء الشام

تعرف الشهيد أثناء دراسته على خيار علماء الشام أمثال الدكتور محمد أديب الصالح، والشيخ سعيد حوى، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وملا رمضان شيخ الشافعية في بلاد الشام، وقد زار ملا رمضان بيت الشهيد وقدم له الطعام فامتنع عن الأكل، فقال له صاحبه الذي يرافقه كل من طعام عبد الله ، فاستحيا وأكل، وقال: أنا لا آكل من طعام ابني الدكتور البوطي الذي يعمل استاذا في كلية الشريعة، لأن راتبه من الدولة التي اختلطت أموالها بالحلال والحرام مع المكوس وضرائب الخمر.

ولقد تأثر الشهيد بمثل هذه المواقف التي يظهر منها ورع العلماء، كما التقى الشهيد في حياته بالشيخ مروان حديد المشهور بعداوته للطواغيت وجهاده لهم.

زواج الشيخ عبدالله عزام

وكان سنة 1965م قد اختار شريكة حياته (أم محمد) ، وهي من بيت محافظ على الدين ، قد تربت على يدي والدها الذي هاجرمن قرية (أم الشوف) في شمال فلسطين بعد طردهم من قبل اليهود - إلى قرية الشيخ عبدالله ، ثم ارتحل والدها مع عائلته إلى قرية (دير الغصون) في منطقة طولكرم .

وقد طلب الشيخ الشهيد من والده ووالدته أن يجهزوا هدية ، ثم انطلقوا إلى دير الغصون، وتم بفضل الله عز وجل عقد القران (الزواج) بينهما .

ومن هذا الزواج المبارك الذي تم بين الشيخ عبدالله عزام وشريكة حياته أنجبت خمسة ذكور: محمد نجله الأكبر الذي ذهب إلى ربه شهيدا مع والده وعمره (20سنة) ، وحذيفة (18عاما)، وإبراهيم الذي اختاره الله شهيدا مع والده وعمره (15 سنة) ، وحمزة (13سنة) , ومصعب (5 سنوات) .

ومن الإناث أنجبت منه فاطمة وعمرها (23سنة)، ووفاء عمرها (22سنة) ، وسمية وعمرها (14سنة)

المصطلح الفقهي للجهاد

لقد كان الناس يفهمون معنى الجهاد إذا أطلق فهما مغلوطا، وغالبا عندما كان الناس يذكرون معنى الجهاد ينصرف ذهنهم إلى أمور كثيرة منها القتال بالسيف، ومنها نشر الإسلام بالكلمة والموعظة الحسنة إلى غير ذلك من أمور يأخذونها من الأحاديث والآيات .

وإذا بالشهيد يواجه العلماء بحقيقة غابت عن أذهانهم أن الجهاد إذا أطلق يعني القتال في سبيل الله:(القتال بالسلاح والسنان) مستدلا بالحديث الذي رواه الامام أحمد بسند صحيح:

(قيل يا رسول ما الجهاد في سبيل الله قال هو قتال الكفار)، ثم أن كلمة في سبيل الله إذا أطلقت في الكتاب والسنة لا تعني الدعوة ولا الذكر ولا قيام الليل، وإنما تعني باتفاق المحدثين والمفسرين قتال الكفار بالسلاح.

كان رحمه الله يمقت الدراسة النظرية المجردة وفقه الأوراق، ولم يكن يؤمن بما يفعله كثير من العلماء من الإشتغال بالتأليف وإلقاء المحاضرات الرنانة التي تلقى من فوق المنابر ظنا منهم أن هذا هو الطريق الموصل لإقامة الدولة الاسلامية فوق الأرض، ولهذا وجدنا من آخر وصاياه:

(إني أرى أنه لا يعفي عن مسئولية ترك الجهاد شيء سواء كان ذلك دعوة أو تأليفا أو تربية، إني أرى أن كل مسلم في الأرض اليوم منوط في عنقه تبعة ترك الجهاد - القتال في سبيل الله- وكل مسلم يحمل وزر ترك البندقية، وكل من لقي الله- غير أولي الضرر- دون أن تكون البندقية في يده فإنه يلقى الله آثما لأنه تارك للقتال، والقتال الآن فرض عين على كل مسلم في الأرض). ولما كانت هذه أول محاولة جادة وعملية من الحركة الإسلامية الأفغانية لإعادة الخلافة الراشدة وإقامة الدولة الاسلامية على أرض أفغانستان وقف الشرق والغرب في طريقها، وقد أذهلهم فعل الشهيد وهذا التجمع الإسلامي الذي يحمل السلاح، فأثار حفيظة الشرق والغرب، وخاصة أنهم أجمعوا أمرهم منذ سقوط الخلافة سنة 1924م أنهم لن يسمحوا أن يعود للإسلام خلافة.

ولعلنا ندرك أن أمريكا عندما رأت سنة 1948م انتصار المجاهدين وخروج الروس وإصرار قادة الجهاد على إقامة الدولة الإسلامية كيف وقفت في وجههم وحاولت بشتى الوسائل والطرق إبعادهم وتصفيتهم جسديا .

وقد بدأ هذا المسلسل بقتل ضياء الحق، ثم باغتيال عملاق الجهاد (الشهيد الشيخ عبدالله عزام)، ونرجو الله أن يحفظ قادة الجهاد من هذا المخطط الأثيم .

لهذه الأسباب كان أعداء الاسلام وأعداء الجهاد يخافون من شهيدنا الغالي .

يقول الشيخ برهان الدين رباني أمير الجمعية الاسلامية في كلمة رثاء على روح الشهيد:

(إن شيخنا الكريم كان من الشخصيات.. عندما يسمع اسمه أعداء هذه الأمة يثير فيهم القلق والاضطراب وإن أعداءنا كانوا يعرفون الشيخ أكثر مما نعرفه، وان الشيخ كان عدوا لدودا للشيوعية والصهيونية والجبابرة).

ثانيا: الدافع الثاني: أن الشهيد كان ترسا للجهاد في أفغانستان:

لم يعهد أعداء هذه الأمة أن يروا عالما من هذا الطراز يحمل السلاح ويقاتل الكفرة والملاحدة من أجل إقامة دين الله في الارض - في هذا القرن - مثلما عهدوه في شهيدنا الغالي . كان الشهيد ترسا للجهاد، يجاهد في سبيل الله بقلمه وسنانه، وكان صوت الحق الناطق باسم الجهاد في العالم، فأراد أعداء الجهاد أن يسكتوا هذا الصوت .
بعد أن انتصر الجهاد في أفغانستان على الدب الروسي وأجبره على العودة إلى قمقمه، وبعد أن قلم المجاهدون أظافره، بدأت المؤامرة بترتيب بين الشرق والغرب أن لا يكون الإسلام هو البديل بعد خروج الروس، فجاءت المؤامرات تباعا كان أولها تحديد وضع الدولة التي ستقام على أرض أفغانستان قاعدة عريضة ... دولة محايدة .. المتاجرة بورقة ظاهرشاه المحروقة، محاولة إثارة مسألة الوهابية لشق الصفوف، يقول الأخ عبدالله أنس وقد قدم من داخل أفغانستان:
كانت إذاعة كابل تركز على مسألة الوهابية وتذكر اسم الشيخ عبدالله عزام بالإسم ولمدة أسبوع قبل استشهاده.
ويوم أن بدأت المؤامرة على الوجود العربي على الساحة الافغانية باشكالها المختلفة أن هؤلاء جاءوا لينشروا أفكار الوهابية، أو أنهم جاءوا ليفرضوا عليكم - بما يقدموه من أموال ومساعدات وجهاد - نظام الحكم الذي يريدونه .
وكلما تعرض الجهاد إلى سهم يوجه إليه أو شبه تثار من قبل أعداء الله انبرى لها الشيخ الشهيد يرد عليها ما أوتي من قوة وحجة بيان .
ولهذا السبب أيضا ضاق به الشرق والغرب ذرعا وعجزوا عن مواجهته وجها لوجه لا في ساحة ميدان الجهاد ولا عبر البيان والكلام .
لقد كان ترسا للجهاد كأنه مظلة فوق قادة الجهاد، فأراد أعداء الله أن يسقط هذا الترس حتى يستطيعوا أن ينفذرا إلى هذا الجهاد المبارك، ولكن نقول لهؤلاء الأعداء إن الله خيب ظنكم وطاش سهمكم، وأن هذه المؤامرة على الجهاد جاءت متأخرة.
الدافع الثالث:
لكون الشهيد يعمل على تصدير الجهاد من أفغانستان إلى بقاع الأرض التي ديست بأرجل الكفار ودنست بأرجاسهم، لقد أصبح العالم يحسب للجهاد في أفغانستان ألف حساب، خاصة أن نفس الجهاد امتد حتى وصل إلى معظم المناطق التي تعرضت للغزو من قبل أعداء الله، يقول الشهيد وهو يتحدث عن سريان هذا النور (نور الجهاد) إلى فلسطين:
(وقد أدركت بعد الضغوط التي تعرضت لها فوق أرض الجهاد .... وفهمت أن اليهود كان يرون أن الانتفاضة في الأرض المباركة قادمة ولو بعد حين ...لأن الجهاد كالنور يسري في الظلام لا يعرف حدودا إذا سرى في الظلام وكالنار الذي يسرى الهشيم)(1) [شريط هدم الخلافة وبناؤها].
ويقول في كتابه (حماس صفحة 89): (كنت أحس منذ سنوات أن اليهود يتوجسون خيفة من هزة قادمة بسبب الزلزال الذي حدث في أفغانستان)، ولقد صدق ظن الشهيد وإذا بالانتفاضة المباركة على أرض فلسطين تزلزل الأرض تحت أقدام اليهود، وما أجمل ما قاله الشهيد وهو يعبر عن تعانق الجهاد على أرض أفغانستان مع الانتفاضة المباركة على أرض فلسطين حيث يقول:
(ما هي إلا أصداء لما يجري في داخل أفغانستان).

كذلك فان الكفر وأذنابه يخافون من مواطن الشهداء (مثل الشهيد عمر المختار) فقد فكر القذافي مليا وأن الدوائر يمكن أن تدور عليه فقال في نفسه لابد أن أبدأ بالثورة قبل أن يثار علي ، فركب البلدوزر وذهب إلى السجون وأخرج المساجين) من كلام الشهيد .
كذلك فإن الجهاد على أرض أفغانستان حرك المستضعفين في الأرض في كردستان والفلبين وفي كل مكان، وقلب الموازين الدولية في العالم، لأن الطغاة لا يخافون إلا من الجهاد، ولا يرعبهم إلا حمل السلاح .
إذا قال أعداء الجهاد لابد من التخلص من هذه الشخصية الجهادية التي بدأت تصدر الجهاد إلى العالم العربي والإسلامي وإلى المستضعفين في الارض، ولا بد من قتل رموز الجهاد .
وقد جرت عدة محاولات لاغتيال المهندس حكمتيار، ذات مرة وإذا بالهاتف أخرج من بيتك مؤامرة لنسف البيت بالصواريخ الموجهة، وقد تعرضت سيارته وهو في طريقه إلى معسكر "ورسك " لحقل ألغام (متفجرات) زرعت في الطريق، حتى إذا مرت سيارة حكمتيار وإذا بسيارة باص قد دخلت أمام سيارته فانفجرت ونجا حكمتيار بفضل الله.
وقد جاء أحد الطيبين من الباكستانيين وقال للشيخ برهان الدين رباني : لقد دفع إلي مبلغ (06) مليون روبية لأقتلك فانتبه لنفسك . وقد كانت المؤامرة الأخيرة التي فجرت سيارة الشهيد الشيخ عبدالله عزام أسكنه الله فسيح جناته .
يقول الشيخ سياف في كلمة تأبينية على روح الشهيد: (إن هذه المؤامرة والتحديات والخيانات التي يريدون بها أن يهددوا كيان الجهاد لن يستطيعوا أن يعرقلوا سير هذا الموكب العظيم، ولن نتخلى عن هذا الجهاد والأهداف التي قاتلنا من أجلها وضحينا من أجلها بهذا البطل العظيم).
الدافع الرابع: نظرا لأن الشهيد حول الجهاد الأفغاني إلى جهاد إسلامي عالمي.
لقد كان شهيد الأمة الاسلامية ينشد وحدة الأمة تحت علم الجهاد، ويعمل من أجل ذلك، وقد عمل حتى آخر لحظة من حياته من أجل جمع كلمة قادة المجاهدين، فقد ذكر الشيخ برهان الدين رباني أمامي أن الشهيد جاءه ليلة الجمعة (ليلة استشهاده) في منتصف الليل وأيقظه من النوم ليوقع على وثيقة صلح مع أمير الحزب الإسلامي حكمتيار، وبفضل الله تعالى تحققت هذه الأمنية التي كان ينشدها بين القادة.
وطالما ردد كثيرا : إن موت جميع أولادي أحب إلي من أن يختلف قادة الجهاد الأفغاني .
وقد استصرخ الشهيد ضمائر الأمة الاسلامية في شتى أنحاء العالم، فحث التجار في البلاد العربية والإسلامية أن يقدموا أموالهم في سبيل الله، وصرخ صرخته المدوية في البلاد العربية والإسلامية للعلماء أن ينفروا إلى أرض الجهاد، وأن يساهم كل مسلم بقدراته ونفسه وعلمه بهذا الجهاد المبارك.
فكان لهذا النداء صداه العميق، فجاد الكثيرون بأموالهم، وقدم إلى أرض الجهاد مجموعات من الشباب من كافة الأقطار، والتقت هذه الجموع وانصهرت كلها في بوتقة العقيدة على أساسها تجاهد في سبيل الله.
وإذا بالأمة الاسلامية المترامية الأطراف المقطعة الأوصال في أنحاء المعمورة تتجمع من جديد في جسم متكامل ليكونوا كما وصفهم رسول

الله ص:(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).
وهذه شكلت أكبر عقبة في وجه الشرق والغرب، حتى قالت أمريكا لروسيا ؛أنت أثرت العالم الإسلامي علينا بغزوك لأفغانستان، فأيقظت المسلمين، ونحن لا يهمنا الأفغان فقط، بل يهمنا أن العالم الاسلامي كله متعاطف مع هذه القضية« (1) [شريط هدم الخلافة وبناؤها]. ابحثوا عن السبب في هذه المسألة إنه شيخ المجاهدين العرب في أفغانستان، إذا لا بد من تصفيته جسديا.
لقد ظن - أعداء الجهاد - القتلة أنهم قد انتصروا على الشهيد ولكنهم لايدرون أنه قد حقق انتصارا عظيما عليهم لأنهم عجزوا عن مواجهته في الميدانين العسكري والسياسي، فلجأوا إلى أسلوب الغدر الخبيث عن طريق الاغتيال .
فهو بهذا قد نال إحدى الحسنين - الشهادة- وارتقى إلى عليين بعد أن انتصر على أسر المادة (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنين) ... (التوبة: 25)
الدافع الخامس: لتصفية الجهاد في أفغانستان، من عنده بصيرة من نور يدرك المؤامرات التي تحاك ضد الجهاد في أفغانستان من الغرب (أمريكا وحلفائها) مع روسيا ونحن نرى حبال القوى الغربية تعد لتوضع حول عنق الجهاد ليتم زرد الحبل وخنق الجهاد حتى لا تقوم له قائمة.
وهم بهذه المحاولات والمؤامرات يعملون في حربهم للجهاد على عدة محاور:
1- محاولة تصفية رموز الجهاد تصفية جسدية كان من ضمنها اغتيال شهيد الأمة الإسلامية(الشيخ عبدالله عزام).
2- محاولة فصل الجهاد الأفغاني عن جسم الأمة الإسلامية حتى يتم ابتلاع المجاهدين بصمت فلا يتألم لهم العالم الإسلامي.
3- محاولة إثارة النعرة القومية بين صفوف الأفغان وتحريضهم على الوجود العربي بشتى الوسائل، وخاصة بث الشائعات أن العرب جاءوا ليفرضوا عليكم نظاما معينا بما يقدموه لكم من أموال ومساعدات .
4- محاولة إقناع العالم أن المجاهدين وصلوا إلى طريق مسدود، وأنه لن تحسم القضية بالسلاح ولا بد من حل القضية حلا سلميا (عبر المحافل الدولية) .
ولكننا نقول لأعداء الجهاد ولأعداء هذا الدين:
إن بذور الجهاد التي بذرها شهيد الأمة الإسلامية ستؤتي أكلها ولو بعد حين، وأن ما قام به أعداء الجهاد من قتلهم عملاق الجهاد إنما هو انتصار للأجيال المسلمة التي ستبقى تتربى على المدرسة الجهادية العملية التي تركها خلفه.
ونقول لهم ما مات من مات شهيدا .
وكيف يموت من خلف للمسلمين تراثا فكريا جهاديا خطه بدمائه قبل أن يكتبه بماء قلبه وبدموعه؟!
كيف يموت من ربى جيلا مجاهدا لا يعر إلا لغة السيف في وجه الظلمة والطغاة؟!
كيف يموت من لاتزال كلماته تقرع آذان القلوب وهي تحثهم على الجهاد في سبيل الله؟!

كيف يموت من لاتزال محاضراته وخطبه عبر الأشرطة المسموعة والمرئية تدوي في أرجاء الكرة الأرضية ?!
حقا ما مات من مات شهيدا .
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .(آل عمران: 169)
قمة السنام التي ارتقى اليها الشهيد عزام
إن الحمدلله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وبعد:
مما لاشك فيه أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث:(وذروة سنام الإسلام الجهاد)، وفريضة الجهاد كبقية الفرائض تبقى لازمة في عنق المسلم مادام هنالك أراضي سلبت من المسلمين ودنست بأرجاس الكافرين، ومادام أن دين الله غائبا عن الشهود والوجود بعد سقوط الخلافة سنة 1924م
وقد حذر الله عز وجل أولئك النفر الذين يقبعون في مساكنهم يأكلون ويشربون وهم هانئون(بالعذاب الأليم) في الوقت الذي يجتث فيه دين الله من الوجود على أيدي أبناء بشرته الجغرافية ممن يتسمون بالمسلمين، فقال:
(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)
(سورة التوبة: 93)
وكثير من الناس يتعللون بالأماني الكاذبة والسراب الخادع حتى يبرروا لأنفسهم قعودهم عن الجهاد مع الخوالف، وغالبا هؤلاء في عقيدتهم وهن ودخل، يقول الشهيد في كتابه (في خضم المعركة/ج 1/7):
(وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي العقيدة دخل وفي إيمان صاحبه بها وهن وضعف) يقول الرسول ص: من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق (1) [رواه مسلم انظر شرح النووي 3/56].
ومن هذا المنطلق نخاطب المسلمين في أصقاع الأرض وفي ديار الإسلام أن يتحركوا للنفير إلى الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال حتى يصلوا إلى دار السلام في مقعد صدق عند مليك مقتدر .
وقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ص قال:(تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة).
والمشاركة بالمال هو جهاد في سبيل الله - إن كان معذورا عن المشاركة بالنفس - وإن اختلفت الدرجة في ذلك، لهذا نجد النبي عليه الصلاة والسلام قد حث على تجهيز الغزاة كما جاء في الصحيحين:(من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا)، ويقول عليه الصلاة والسلام للمتخلفين عن الجهاد:(أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج).
إن الإرتقاء ومحاولة الصعود إلى ذروة سنام الإسلام هو القمة السامقة في هذا الدين، ولايصل إلى هذا المستوى الرفيع إلا من تحرر من أسر المادة وحب الهواء وقيد الشهوات وذل العبيد .

إن شهيدنا قد ارتقى إلى ذروة سنام الإسلام بفضل من الله، وما كان ليصل إليها إلا أفذاذ العلماء القلائل ممن تشربت روحه من ذلك النبع الصافي وذاق حلاوة الجهاد .
لقد كان شهيدنا الغالي يحاول - ما استطاع إلى ذلك سبيلا- أن يرتقي بالناس ويرتفع بهم إلى هذه القمة السامقة (ذروة السنام) حيث رفعه الله إليها، وكان ينظر إلى المسلمين المستضعفين في الأرض نظرة إشفاق وحسرة وهم توجه إليهم اللكمات الوحشية في كل مكان، كان يرى طلائع البعث الإسلامي يقتلون ويسجنون، وتوضع الأغلال في أعناقهم وأيديهم دون أن يحركوا ساكنا ، ودون أن يملكوا لأنفسهم حيلة يردون بها على الجبابرة والطغاة الذين نص بوا من أنفسهم أصناما بشرية تعبد من دون الله .
وكان البعض ينظر إليه من بعض الروابي المرتفعة قليلا والتي يجلسون عليها - وهم بظنهم أنهم قد وصلوا إلى قمة الإسلام - ليجدوا أنفسهم في النهاية أنهم لازالوا في قعر الوادي، وهو يسرع أمامهم وقد وصل به المقام إلى قمة سنام الإسلام وهو ينشد أمامهم: المجد للسيف ليس المجد للقلم .
ونحن نعذر أمثال هؤلاء لأن نظرتهم للأمور تبقى من حيث انتهوا ووصلوا، فهم يظنون أنهم قد وصلوا إلى نهاية المطاف وهم لايعلمون أنهم قد تخلفوا عن اللحوق بالقافلة .
كان الشهيد يرى أن الجهاد في سبيل الله (القتال بالسلاح) أمر لازم لحفظ الشعائر التعبدية والمساجد والهيئات والمسابح واللحى وعقيدة المسلمين، كل هذه الأمور محمية بالجهاد والسلاح مصداقا للآية:
)ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا .) ... (الحج: 40)
إن الشهيد كان (كالنور) يستقطب ويجمع طاقات المسلمين، والشباب يلتفون من حوله، كما يدور الفراش على الضوء، وقد كان محسودا في حياته ولعله يكون محسودا في مماته ، إذ كان لكلماته الجذابه سر في إقبال الناس عليه والتفاف الشباب من حوله حيثما حل وحيثما ارتحل .
لذلك رآه الشباب يحمل السلاح - فلحقوه وتبعوه- وهو عالم من العلماء، وصاحب درجة علمية كان بإمكانه أن يجلس على الفراش الوثير ويسترخي وتشده الأهواء إلى مستنقع الطين ، لكنه حرم على نفسه أن يهدأ له بال أو يقر له قرار وهو يرى نار المحنة تحرق قلوب المسلمين .
لقد رأينا من ضمن وصاياه لأولاده (والله ماأطقت أن أعيش في قفصي معكم كما تعيش الدجاجة مع فراخها، ولم استطع أن أحيا بارد النفس ونار المحنة تحرق قلوب المسلمين).
بعض مناقب الشهيد : ونحن إذ أردنا أن نقف على مناقب الشهيد فسنجدها كثيرة، ولكن سنضع بين يدي القارىء بعضا منها علها تكون لنا درسا نعتبر منها:
أولا:-العزة والإباء: وهذه هي السمة البارزة التي كانت تظهر على شخصية الشهيد تجاه الأعداء والطواغيت، وقد امتثل قول الله تعالى:(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله)، لذلك نجده لم يحن هامته طول حياته إلا لخالقه العزيز الجبار،ولم يطأطىء رأسه للطغاة والجبابرة، ويوم أن فصل من الجامعة جرت هناك محاولات عدة لاستدراجه ومحاولة غمز عوده عن طريق الترغيب من أجل إعادته إلى الجامعة،

فطلب وزير الداخلية آنذاك مقابلته، وعند اللقاء قال له الوزير: أنت تهاجمنا على المنابر وتتكلم علينا، وفي نهاية الحديث كانت نصيحة الوزير للشيخ الشهيد أن يعتذر لمدير المؤسسه الصحفية الذي هدده الشهيد على تلك الصورة التي وضعت في جريدة الرأي والتي تهكم فيها على العلماء، فرد عليه الشهيد يومها: (والله لو جاء واعتذر لي ما قبلت اعتذاره).
وهذه الحادثة تذكرنا بعزة السلف الصالح أمثال العز بن عبد السلام يوم أن جاءه الناس يرجونه أن يعود إلى منصبه في القضاء مقابل أن يقبل يدي الحاكم فقال: (يا ناس أنتم في واد ونحن في واد، والله لوجاء وقبل يدي ما قبلت).
ثانيا:- الشجاعة والحماسة: ونحن عندما نريد أن نتكلم عن سمة بارزة في الشهيد نظن أنها هي السمة الغالبة على شخصيته، لقد طرق الدعاة أبواب الدعوة فوجدوا الشهيد قلعة حصينة من قلاعها، وعندما تحدث الناس عن الجهاد وجدوه علما بارزا من أعلامه .
وقد كان آخر مقالة كتبها الشهيد قبل استشهاده بعنوان (الأسود الجائعة) تحدث في مقدمة المقال عن الشجاعة وأن عمادها القلب، وأن القلب إذا امتلأ بالإيمان فإنه يعود لا يخشى أحدا إلا الله، ولا يخاف من الموت بل يقبل على الموت في ساحات الوغى بشكل منقطع النظير .
ولقد وجدنا هذه الصفات قد انطبقت على شهيد الأمة الإسلامية، فشجاعته في المعركة ليس لها نظير، لم يكن يرضى إلا أن يتقدم الخطوط الأمامية للعدو مع حرص المجاهدين عليه دائما ومحاولتهم اقناعه أن لا يتقدم إلى الأمام خوفا عليه، وقد شهدت له أرض أفغانستان في جاجي (المأسدة) وقندهار، ففي قندهار اخترق الصفوف في منطقة سهلية حتى وصل على بعد (1500متر) من مواقع الشيوعيين .
كان الناس يعتكفون العشر الأواخر من رمضان في المساجد، أما الشهيد فقد اعتكف السنوات الماضية العشر الأواخر من رمضان وخصوصا العام الماضي، فلقد رابط في العشر الأواخر من رمضان في ساحة المعركة (جلال آباد)، وكان على أبوابها يبعد عن العدو عدة كيلومترات وهو يبوىء للمؤمنين مقاعد للقتال .
وقد كان لشجاعة الرسول ص الأثر الكبير في شخصية الشهيد، يقول الصحابة رضوان الله عليهم:(كنا إذا اشتد البأس وحمى الوطيس اتقينا برسول الله ص، وإنه ليكون أقربنا إلى العدو).
كان الشهيد يعبر عن السعادة الغامرة التي تملأ قلبه وهو يحيا هذه الحياة الجهادية حيث يقول:(ماأجملها من أيام تقضيها بين المجاهدين كل واحد ارتقى قمة جبل مرابطا وراء سلاحه... حتى إذا جن الليل لا تسمع منهم إلا صوت التكبير يقطع صمت الظلام الساجي).
ويقول عن أمثال هؤلاء: (إنه يرى الموت كل يوم مرات ليوفر الحياة الحقيقية والسعادة والعزة للأمة المسلمة، يسهر كل ليلة لينام الناس، ويحزن ليهنأ المسلمون من ورائه)(1)
(1) انظر عبر وبصائر /ص .10
كان الشهيد لا يلذ لأذنه إلا سماع صليل السلاح وهدير الطائرات، ونغمات القذائف والرصاص وخوض غمار المعارك والحروب .
ثالثا: الزهد والبعد عن الترف: وحسبك في هذا أنه ترك الدنيا وطرحها عن عاتقيه، وأقبل على الجهاد والاستشهاد حتى نال الشهادة .

ويوم أن قاتل على أرض فلسطين بعد سنة 7691م ترك الوظيفة وآثر أن تسكن زوجته وأولاده الثلاثة في غرفة واحدة تكاد أن تكون مظلمة بلا تهوية ولا مطابخ ولا حمامات، وحسبك في زهده أنه ترك العمل في الجامعة الإسلامية (إسلام آباد) وتفرغ للجهاد عندما شعر أن هذه الوظيفة تعيقه وتعرقل سير جهاده .ثم إنه غادر الحياة الدنيا تاركا الله ورسوله لعياله، وكان بإمكانه أن يكون صاحب الثراء والمال الوفير، وقد خرج من الدنيا دون أن يأخذ منها شيئا ، لقد قدم إلى ساحة الجهاد بنفسه وماله وعياله ووظف كل ما يملك لصالح الجهاد .

وهو في هذا يسير على نهج رسول الله ص كما روى الإمام أحمد بسند صحيح: (أن رسول الله ص ما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا)(1).

(1) المسند برقم (4272)

لقد جاءه بعض محبيه وقد خاف عليه أن يقتل يومها (يوم مؤامرة جنيف على الجهاد) وعرض عليه منصبا بأن يصبح مديرا لجامعة إسلامية حتى يحميه من تلك المؤامرة ، ولكن الشهيد آثر أن يعيش كما عاش رسول الله ص، روى الترمذي بسند حسن أن رسول الله ص قال:(عرض علي ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك)(1)[انظر صحيح الترمذي بشرح ابن العربي 9/209 باب الزهد].

ولو أراد الشهيد الدنيا لنالها وقد أقبلت عليه طائعة بزينتها، ولكنه كان يمقت الترف، وآثر حياة الجهاد على التقلب في أطراف النعيم، ولقد كان رحمه الله يعتبر الزهد من أعمدة الجهاد .

رابعا:- حلمه وصبره: وكيف لا يصبر وهو يعتبر الصبر أحد أعمدة الجهاد (في خضم المعركة 1/3)، والصبر من طبيعة الجهاد، ولا يمكن أن يكون هناك جهاد بدون صبر ، أذكر يوم أن أنكفأ القدر بما فيه من مرق ساخن(2) [هكذا في الأصل والصحيح انكفأ إبريق الشاي بما فيه من ماء ساخن]. على يد ابنه الصغير مصعب وإذا بالبيت يرتبك، فقال لهم الشهيد بهدوء سبحان الله! إن بيوت الأفغان لا تخلو من عدة مصائب، فأحيانا تجد البيت فيه مأتم، وقد شوه وجه ابنه، أو قلعت عين ابنته، وهذا قطعت يده أو رجله، وهم مع ذلك صابرون محتسبون، وإذا بالبيت فجأة يلفه الصمت ويرضون جميعا بقضاء الله.

وقد حاول الطواغيت في الأرض محاصرته ولكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه القمة السامقة التي تعيش فوق ذروة سنام الإسلام، فماذا فعلوا؟ وجهوا سهامهم وحركوا أذنابهم ليتناوشه الأعداء من كل جانب، وليطلق المنافقون ألسنتهم بالسوء في محاولة لتشويه سمعته، ولكنه صبر وثبت واحتسب ذلك عند علام الغيوب، وكان لسان حاله يقول كما قال الشاعر:

فـإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العـــــدا

ونفس الشريف لها غايتان ورود المنايـا ونيل المنـــا

ويوم أن كشر أهل النفاق عن أنيابهم وبدأت الأشرطة المسموعة والمنشورات تكتب ضده لتشويه سمعته قال له بعض الإخوة: لو أنك ترد على هؤلاء، فقال - رحمه الله- : والله ما عندي وقت أن أقرأها فضلا عن أرد عليها، لقد وكل أمره إلى الله، وكان لسان حاله يقول كما قال النبي ص عندما شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته فقال له أصحابه لو دعوت عليهم، فقال عليه السلام: (إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة) ثم قال:

(اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)(1) [رواه البخاري مختصرا/ انظر شرح الكوماني برقم 3237 كتاب بدء الخلق].
ومارأيت الشهيد في حياته منتصرا لنفسه، ولكنه كان إذا انتهكت حرمات الله يغضب ويحمر وجهه، ولقد تخلق في هذا بخلق رسول الله ص، يقول بعض أصحابه ومنهم علي بن الحسن: (مارأيت رسول الله ص منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله)(2)[رواه مسلم- انظر شرح النووي 85-15/84 كتاب الفضائل].
خامسا:- التواضع: كان الشهيد رحمه الله على علو منصبه وشهرته ورفعة رتبته كان أشد الناس في هذا العصر تواضعا وأبعدهم عن الكبر، قال لي كثير من الإخوة هذا الدكتور يختلف عن جميع الدكاترة الذين يحملون الشهادات، وكان بعضهم يقول إنه رجل شعبي، كان وهو في الجامعة يجلس مع طلابه ومريديه يعلمهم وينهلون منه المعرفة والعلم والخلق القويم، كان طلابه ومريدوه لا يشعرون بفارق بينهم وبينه وكان عندما يذهب إلى الجبهات أو إلى مخيمات التربية الإسلامية داخل أفغانستان يقول للإخوة عاملوني أنا وأولادي كما تعاملون أي واحد منكم . وكان هذا منتهى التواضع منه كيف لا وقد اختار حياة الجهاد وهي أصعب عبادة وأشقها على النفس، ورفض أن يتقلد أعلى المناصب الرفيعة .
وقد كان الشهيد خير قدوة له في هذا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام الذي رفض أن يكون ملكا نبيا كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسند صحيح:(إن الله خير نبيه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا)(1) [انظر المسند 1/ برقم 7160].
ولو ذهبنا نستقصي مناقب الشهيد لاحتجنا إلى أسفار وأسفار ، عن ماذا نتحدث ?! عن إيثاره أو عن صفائه وحيائه أو عن كرمه وجوده أو عن صدقه وإخلاصه وتجرده لله تعالى ووقوفه عند الحق، فحدث عن ذلك ولاحرج، وفي المقابل ما من عالم إلا وله هفوة، وما من جواد إلا وله كبوة، وشهيدنا الغالي كان محيطا هادرا، وإذا صدرت منه هفوة فهي تغرق في وسط هذا المحيط، ولنا في قول رسول الله أسوة حسنة .
(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعثر ويده بيد الرحمن)

إمام الجهاد يحيي عقيدة الجهاد

لاشك أن الجهاد في الإسلام مر بمراحل متعددة، يقول ابن القيم: كان الجهاد محرما في مكة، ثم مأذونا فيه، ثم مأمورا به في قتال من قاتل المسلمين، ثم أصبح فرضا ضد الكفار في جميع الأرض عندما نزل قوله تعالى:
" فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " (التوبة: 5)
وقوله تعالى:
" وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة " (التوبة: 63)
وقد استقر الحكم الأخير إلى يوم القيامة، ولكن المفهوم الحقيقي لآيات الجهاد عاد فانحسر في أذهان المسلمين في القرون الأخيرة، وقد مر الجهاد عبر التاريخ بحالات متعددة:
الحالة الأولى:

ففي الصدر الأول للإسلام كانت آيات الجهاد واضحة في أذهان الجيل الأول، وكان فهمهم لمدلولات ونصوص الجهاد صحيحا، فحملوا السيف وساحوا في الأرض يجاهدون في سبيل الله يفتحون المعمورة ويملأونها قسطا وعدلا .

الحالة الثانية:

فكر عالم الكفر والنفاق : ما هو سر نجاح الفتوحات الإسلامية، وانتشار الإسلام السريع في الأرض، وتقويض الأمبراطوريات الغابرة ؟ فوصلوا إلى نتيجة مفادها: وجود عقيدة جهادية في دين الإسلام، لابد من العمل جديا على نسخها نهائيا من هذا الدين، فعمدوا إلى إيجاد أديان جديدة مثل ؛ القاديانية والبابية والبهائية " تدعو إلى نسخ عقيدة الجهاد، بل أوجدوا أشخاصا يدعون النبوة لأجل هذا الغرض، يقول غلام أحمد مؤسس القاديانية ؛ اليوم ألغي حكم الجهاد بالسيف، لا جهاد بعد هذا اليوم، فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمي نفسه غازيا يكون مخالفا لرسول الله - (ص) . كل ذلك لأجل نسخ الجهاد من دين الله تعالى وسلخ هذه العقيدة نهائيا من عقيدة المسلمين .

الحالة الثالثة:

عندما ماتت هذه الحركات الهدامة في مهدها بموت مؤسسيها، وفشلت هذه الطريقة بتدمير ونسخ عقيدة الجهاد من قلوب المسلمين، لجأوا إلى طريقة أخبث حتى لا تثير انتباه المسلمين وذلك عن طريق المستشرقين

بتشويه صورة الجهاد أمام أنظار الناس في الأرض، فقاموا بحملة مركزة وهجوم عنيف على عقيدة الجهاد، وأثاروا الشكوك والشبهات حولها، وكان من ترهاتهم ... دين الإسلام قام بالسيف ودينكم همجي يدعو إلى القتل وسفك الدماء، ودينكم ؛ الجهاد « هجومي، أي يبادر في الإعتداء .....الخ .وكان المسلمون في هذه المرحلة الزمنية يمرون بمرحلة ضعف، وتفوق عسكري وصناعي لأعدائنا، فراح المسلمون يصدقون العبارات التي يروجونها وانطلت على كثير من المسلمين . ولأجل تنفيذ غرض الكافرين ; فقد لجأوا إلى إيجاد منظمات وهيئات دولية ؛ مجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة، الجمعية

العمومية، منظمة حقوق الإنسان « وهي عبارة عن منظمات يهودية ترعى شؤون الكفر والكافرين، وتفرض ما تريد على الشعوب المستضعفة في الأرض .إضافة إلى هذا فإن هذه الهيئات ما وجدت إلا لتقف في وجه مصلحة المسلمين وعدم تحقيق أهدافهم، وحتى يقال بعد ذلك للسذج من المسلمين:لم تلجأون إلى استعمال السيف لتحقيق أهدافكم؟! الأولى بكم أن تحتكموا - ليس لعقولكم - لعقول غيركم الذين هم في أنظار أهل الأرض سادتها وحكامها .

الحالة الرابعة:

وهي مرحلة مسخ وتشويه صورة الجهاد في أذهان وحياة المسلمين .وهذه جاءت نتيجة لمحاولات المستشرقين، إذ هزمت أرواح المسلمين أمام ضغط الواقع وهجوم المستشرقين على الجهاد، فذهب المسلمون بدافع طيب يدافعون وينافحون عن أنفسهم على استحياء وبروح انهزامية، فقالوا: إن ديننا ما قام بالسيف، بل بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن ديننا ليس هجوميا وإنما شرع الجهاد لأجل الدفاع فقط ....الخ . وبدأت محاولات تمييع الجهاد وتأويل آياته ونصوصه ولي أعناقها لصالح الكفر،والتبس أمر الجهاد حتى على العلماء، وأصبح الجهاد في نظرهم مقصورا على خطبة تلقى، أو كتاب يؤلف عن الجهاد دون أن يرمي صاحبه سهما واحدا في سبيل الله، بل أصبح الجهاد في نهاية

الأمر عبارة عن كلمات وتمتمات تقال على المنابر يوم الجمعة، وغاب مفهموم الجهاد الحقيقي عن أذهان المسلمين ردحا من الزمن، وماتت هذه الفريضة في إحساس وواقع الأمة الإسلامية نهائيا تقريبا .
في ظل هذا الواقع فتح الله باب الجهاد على أرض أفغانستان، وقيض الله لهذه الأمة الإمام الشهيد عبدالله عزام الذي رفعه الله تعالى إلى ذروة سنام الإسلام، فوقف الشهيد يحاول أن يرتفع بهذه الأمة التي هبطت من القمم إلى القيعان، ليرتفع بها مرة اخرى إلى ذروة سنام الإسلام .
جاء الشهيد عزام ورفع صوته عاليا ليعلن للمسلمين في الأرض دون خوف أو مواربة ... نعم إن ديننا قام بالسيف، وإن السيف هو الطريق الوحيد لإزالة العقبات وإزالة رؤوس وأئمة الكفر .
وفي الوقت الذي أصبح الجهاد مستغربا في دنيا المسلمين جاء الإمام الشهيد عزام على قدر من الله تعالى، فأراد أن يؤكد للعلماء والدعاة في الأرض أن الفعل لابد أن يسبق القول، فحمل راية الجهاد أولا على روابي فلسطين، ثم على أرض افغانستان، ومضى مجاهدا في سبيله، وصمم أن لايضع البندقية من يده، ولا يحط رحاله حتى يرى دولة الإسلام قائمة فوق الأرض .وبذلك يكون الإمام الشهيد له القدح المعلى في إحياء هذه الشعيرة ؛ الفريضة الغائبة « التي غابت عن واقع المسلمين فعليا زمنا طويلا .
كما كان للإمام الشهيد الشرف في إعادة الجهاد إلى مكانه الطبيعي في أذهان المسلمين، كما أعاد مفهوم الجهاد الحقيقي لآيات الجهاد فتغ ير تفكير العلماء بعد أن كان مقلوبا، فكان إستعمال البندقية والمدفع مشطوبا في أذهانهم بعد أن حرفت الفاظ وآيات الجهاد عن ظاهرها ومعانيها الشرعية، وتلب س معانيها على العلماء، وبذلك يكون إمام الجهاد هو أول من أعاد الفهم الصحيح لآيات الجهاد إلى عقول العلماء، وأرجعهم إلى المصطلح الشرعي للجهاد وهو القتال حتى لا يتلاعب بآياته مرة أخرى .
وقد كان إمام الجهاد يدرك تماما أن الأمة الإسلامية قد طال سباتها ومنامها قرونا كثيرة، ولا يمكن أن تستيقظ على الخطب والكلام، ولا يوقظها إلا حرارة الدم، وسقوط الرؤوس من الشهداء .
لهذا رأى أنه لابد من تجمع إسلامي من شباب العالم الإسلامي تحشد فيه طاقات الأمة على أرض أفغانستان ليمتزج الدم المسلم الواحد، فنادى بفريضة الجهاد بعد ضياع ديار المسلمين ووقوعها في قبضة الكافرين،وبدأ الشباب المسلم فعليا يتوافدون إلى افغانستان، بل بدأوا يتنافسون على الشهادة في سبيل الله، ويحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة .
وأصبحت القيم الأخروية هي محط أنظارهم،وما عاد للقيم الدنيوية أي قيمة عندهم، تركوا الوظائف والجامعات والمعاهد والمدارس والشركات وأقبلوا على ساحات الجهاد .
وبذلك يكون الإمام الشهيد عزام قد غرس الأمل في أعماق المسلمين، وأثبت الجهاد في أفغانستان على أنه يمكن أن يعود لهذه الأمة مكانتها في السيادة والريادة،كما أثبت قدرة الإسلام على قيادة البشرية من جديد .
وأخيرا : إن ماتقدم يعطينا الحق والقدرة على التأكيد على أن الإمام الشهيد عزام كان بحق فارس وإمام المجاهدين الذي عمل على إعادة الأمة التائهة إلى خطها الأصيل الذي طال انحرافها عنه .

الجانب العسكرى في حياة الإمام الشهيد

رغم أن الإمام الشهيد عزام لم يدخل الكليات العسكرية إلا أن الجهاد ربى فيه روح الجندية الصادقة لله تعالى، وأعطاه خبرة عالية في المجال

العسكري، إذ تربى أولا في خنادق القتال على أرض فلسطين، ثم انتقل إلى مدرسة أكبر وهي مدرسة الجهاد في أفغانستان، فألهمه الله عز وجل الفهم الدقيق في القضايا العسكرية، وإنك لتعجب وأنت تقرأ مقالاته وكتاباته وتحليلاته حول الأمور العسكرية كأنه رجل متخصص في هذا المجال، وإنما هي نتاج خبرة لممارسته الجهاد في سبيل الله .
لاشك أنه استفاد من الجهاد وأفاد كثيرا بما فتح الله عليه ببركة الجهاد، وأكثر ما كان يهتم به هو دعم الجبهات العسكرية، بل كان يعتبر أنها أعظم مهمة يقدمها للجهاد والمجاهدين .
ولأجل دعم الجبهات داخل افغانستان فقد أنشأ قسما خاصا لترحيل القوافل، ترحيل المجاهدين العرب إلى الداخل، وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من طعام ولباس وذخائر، فعلى سبيل المثال في سنة 1968م وبينما كان إمام الجهاد يتحرك في مهمة داخل أفغانستان عبر الحدود في منطقة ننجرهار في جلال آباد وإذا بكميات ضخمة من الأسلحة مكدسة على الحدود بين باكستان وأفغانستان، فقال للمجاهدين لماذا لا تدخلونها داخل أفغانستان وتنقلونها إلى الجبهات؟ فقالوا له: لايوجد لدينا أجرة- كراية- لنقلها، فقال لهم: انقلوها ونحن ندفع لكم ثمن الكراية، وبالفعل تم إدخال جميع الأسلحة المختلفة داخل الجبهات .
يضاف إلى هذا أن الإمام الشهيد أقام مجموعة من المعسكرات الخاصة بالمجاهدين العرب للتدرب على السلاح منها صدى وخلدن، ومما لاشك فيه أن الشهيد عزام كان له أكبر الأثر في تحميس الشباب المسلم الذين قدموا إلى أرض الجهاد في دخول الجبهات والمشاركة فعليا في المعارك العسكرية ضد الشيوعيين .
لقد دخل إمامهم فتبعوه، وكان يتنقل من جبهة إلى جبهة، وفي إحدى الجبهات التي كان يتواجد فيها كانت في نفس الوقت تتعرض لإطلاق الصواريخ من كل إتجاه، ولقد عبر بنفسه عن شدة الموقف فقال: إن الصواريخ التي كانت تطلق على المنطقة كانت تخرج النبع من الأرض، بل إنك لتحس الجبال وهي تهتز وتميد من تحت أرجلنا، والأعجب من هذا أنك تجد الحيوانات تتجمع تحت الشجر مختبئة من شدة القصف ودموعها نازلة .
كان لا يهدأ له بال ولا يحلو له المقام إلا أن يكون داخل الجبهات وبين المجاهدين، حيث صليل السلاح وأزيز الطائرات وهدير الدبابات ودوي المدافع، وكأنه يردد ما قاله الشاعر:

يلذ لأذني سماع الصليل ويبهج نفسي سيل الدماء

لقد سمعته أكثر من مرة يقول: ؛ لقد مارست الشعائر والعبادات كلها فلم أجد أشق على النفس من عبادة الجهاد .
ومع ذلك كان يرى أن الحياة الحقيقية بالجهاد، فكان لا يستطيع أن يعيش بدون جهاد، ولقد سمعته ذات مرة يقول: لا يكاد عقلي يستوعب أو يطيق ترك الجهاد والعودة مرة أخرى إلى الحياة المدنية . ولقد شهد المعارك في فلسطين وأفغانستان،فكان منها معركة جاجي في رمضان سنة 1406هـ داخل أفغانستان، ولندع الشهيد عزام يصف لنا مشهدا من هذه المعركة فيقول: ودخلت معسكر جاجي أثناء المعركة، وكنت صائما، وكانت الشمس تلم أذيالها لتغيب وراء الأفق، فتجمعنا قرابة 60 شخصا في أحد الكهوف، وأغارت الطائرات، وكان يكفي لقتل كل من في الغار قذيفة واحدة ذات وزن 1000كغم " التي تخترق سبعة أمتار داخل الصخر، وأما في التراب فلقد رأيت بعيني رأسي النبع يخرج من جراء انفجارها، كان في جيبي بضع تمرات، بدأت

أتحسسها وأخرجتها بيدي أنتظر الأذان، وجاءت الأوامر بالتفرق، وبدأت الصواريخ تنهال علينا من كل مكان إثر مغادرتنا المغارة، وألقينا بأنفسنا على هذا السفح ننتظر القذيفة التي نودع بها الدنيا، ولم أستطع خلال ساعتين أن أكمل حبات التمر التي بيدي ".
كما شهد من قبلها في نفس السنة معركة بكتيا في جور وقد استمرت قرابة شهر، ابتدأت بعملية إنزال أربعمائة من رجال الكوماندوز أنزلتهم طائرات الهليوكبتر، ولم ينج واحد منهم إلا وقد أصابه القتل أو وقع في الأسر، يقول الإمام الشهيد:؛ ولقد رايت الطيارين والضباط في أيديهم الأغلال مصفدين، وكان عند الشيخ جلال الدين قرابة مائة وعشرين من هؤلاء الأسرى .
لقد ملك حب الجهاد على إمام الجهاد حياته،حتى الاعتكاف في رمضان كان يقضيه داخل الجبهات، الناس يعتكفون العشر الأواخر من رمضان في المساجد حيث الظل والظليل والنوم والمقيل، بينما الإمام الشهيد كان يرى أن الاعتكاف داخل الجبهات أعظم أجرا عند الله كما ثبت في الحديث الذي رواه ابن ماجة وصححه السيوطي ؛ "من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها " .
بل أن الاعتكاف والمرابطة في الثغور وساحات الجهاد أفضل من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود كما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ص قال: (لأن أحرس ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود).
ولذا رأينا الشهيد عزام يعتكف العشر الأواخر من رمضان على أبواب جلال آباد وفي أماكن الرباط داخل أفغانستان، ولقد كان ذات مرة يتنقل في الإمارات العربية يحرض المؤمنين على القتال، ويجمع الأموال لصالح المجاهدين، وإذا بأحد الأخوة يقول له: يا شيخ عبد الله لقد اتصل الشباب المسلم من أمريكا يريدونك هذا العام حتى تقضي عندهم العشر الأواخر من رمضان، فقال سبحان الله !! أترك جلال آباد وخوست وكابل حيث المعارك مشتعلة على أشدها وأذهب إلى أمريكا لقضاء العشر الأواخر من رمضان ؟! إنني لا أحب أن أفارق الجبهات، بل صرح أكثر من مرة قائلا: عندما أخرج من أفغانستان إلى بيشاور يضيق صدري رغم أنني ذاهب إلى أهلي، وكلما ابتعدت أكثر عن الجبهات كلما انقبضت نفسي أكثر، حتى وأنا أطوف حول البيت العتيق فإن روحي تسبح فوق سماء أفغانستان حيث مقارعة جند الله لجنود الشيطان .
وما أجمل ما قاله الإمام الشهيد وهو يعبر عن قيمة الجهاد في حياة الأمة المسلمة فيقول: ؛ إن عمري الحقيقي الآن تسع سنوات،سنة ونصف في الجهاد في فلسطين، وسبع سنوات ونصف في الجهاد على أرض أفغانستان، أما بقية عمري فليس له أي قيمة عندي« وما يقول هذ الكلام إلا من جرب وعرف قيمة الجهاد في حياة الأمة المسلمة، وأثره على الشعوب من حيث رفعة شأنها وعزتها ووزنها بين دول العالم، والجهاد الأفغاني أكبر شاهد على ما نقول .

إمام الجهاد في ميدان الجهاد *

في زيارة قبل يومين لأولاد الإمام الشهيد عبدالله عزام بتاريخ 7/4/19 التقيت بولده حذيفة، فقلت له: هل لك أن تحدثنا عن موقف من المواقف الجهادية لوالدك الشهيد داخل أفغانستان شاهدتها بنفسك ؟
فقال: نعم، وعندي كلام طويل يكفي لملء مجلد أو مجلدين، وبدأ يسرد لنا عملية بطولية شهدها الإمام الشهيد عزام في منطقة خرد كابل أي (كابل الصغرى)، ثم قال: تحركنا من بيشاور سنة 1987م إلى جاجي ، فوصلناها

قبيل غروب الشمس في نفس اليوم، فطوينا تلك الليلة، ثم تحركنا في صباح اليوم الثاني فوصلنا تشكري مع غروب شمس اليوم الثاني، وكانت الطائرات تصب حممها، والقصف مستمر ليلا ونهارا لا ينقطع أبدا ، ولشدة قصف الطائرات كانوا يسيرون خمس دقائق
ويتوقفون مثلها، ثم يلجأون تحت الشجر حتى لا تكتشفهم الطائرات فتقصفهم، وفي الطريق لابد أن يجتازوا عقبات كثيرة ...منها تسلق الجبال زحفا ، حيث يمسك الواحد بيديه ورجليه حتى لايسقط ويهوي في أعماق الوادي، وكان معه مجموعة من الشباب في العشرين من أعمارهم يرافقونه في هذه العملية، فرجع بعضهم من منتصف الطريق لوعورتها، ولكن إمام الجهاد واصل الطريق دون تراجع .
وأخيرا وصلوا الى معسكر جاجي، وكان المبيت هناك ليلة واحدة تم خلالها التخطيط لعملية ضرب الحزام الأمني الذي يحمي مدينة كابل بصواريخ (221)، ثم تحركت المجموعة برفقة الشهيد عزام بعد الفجر مباشرة، تسير مشيا على الأقدام قرابة يوم وليلة حتى وصلوا ميدان العمليات .
وقد قامت المجموعة بالإجهاز على قافلة للعدو كانت تسير على الخط الرئيسي لكابل، تم على أثرها تدميربعض الدبابات في هذه العملية، وقتل وجرح مجموعة من ضباط وجنود الشيوعيين، وعلى أثر هذه العملية قام العدو بقصف صاروخي شديد، وكان برفقة الشهيد عزام ولديه حذيفة والشهيد إبراهيم، حيث كانا يركبان على ظهر حمار، فسقط صاروخ (BM12) قريبا من المكان ، فسقط الإثنان عن ظهر الحمار لقوة الإهتزاز التي أحدثها دوي الصاروخ .
وفي نفس اليوم وشى بعض المنافقين للدولة العميلة أن الشهيد عزام متواجد في موقع العمليات، وأعطى الأعداء تفاصيل دقيقة عن الموقع، فجاءت الطائرات وقصفت الغرفة التي كانوا يجلسون فيها، ولكن المجموعة كانت قد غادرت المنطقة قبل القصف بثلاث دقائق، وأخذت الطائرات تلاحقهم من مكان لآخر بعد أن علم الأعداء أنهم لم ينالوا شرا من الشهيد وإخوانه.
ونتيجة لشدة قصف الطائرات قامت المجموعة وأخفت السيارة تحت شجرة حتى لا تكتشفهم الطائرات، وأثناء القصف المستمر نادى الشهيد ولده حذيفة وطلب منه أن يذهب للسيارة ويحضر له الكتاب حيث نسيه فيها، وقال له: لو أحضرت لنا الكتاب من السيارة حتى اذا إنفجرت لايذهب معها الكتاب!! ولما أحس الشهيد تباطؤ حذيفة في الذهاب هم بنفسه أن يذهب، فتشبث به أبو الحارث خوفا عليه من قصف الطائرات المتواصل.
قلت في نفسي ; على أكتاف أمثال هؤلاء تقام الممالك وينتشر دين الله عز وجل،وتسعد البشرية، فإذا غاب هؤلاء الأسود، واختفوا من المعمورة ادله م الظلام .
نحن نتمنى أن يكون عندنا عشرة من أمثال هؤلاء الأبطال الذين سطروا التاريخ بدمائهم، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض جلسائه من الصحابة رضوان الله عليهم ذات يوم: تمنوا، فتمنى بعضهم أن يكون له مالا كالجبال فينفقه في سبيل الله، وتمنى آخر الشهادة في سبيل الله، وتمنى كل واحد شيئا ...فقالوا لعمر: تمن ياأمير المؤمنين، فقال:(أتمنى أن يكون عندي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة).

* إمام الجهاد يشهد فتح تشاوني ؛ في جاجي

الجهاد على أرض أفغانستان يذك رنا بالماضي التليد لهذه الأمة، وأنها ما انتصرت وعلا شأنها إلا بالجهاد في سبيل الله; يوم أن وقف الصحابة رضوان الله عليهم يقارعون الظالمين، ويزلزلون عروش الإمبراطوريات، ويسيرون الجيوش الزاحفة في ربوع العالمين وهم يحملون لواء الجهاد لنشر عقيدة التوحيد في المعمورة .

ويجب على كل مسلم في الأرض - الآن - أن يدرك حقيقة مهمة طالما غفل عنها الكثيرون ; وهي أن انتصار الجهاد في أفغانستان إنما هو انتصار لهذا الدين، وإقامة لدولة المسلمين التي هي أمل وحلم يراود قلوبهم بعد غياب الإسلام الفعلي عن الوجود والشهود بعد تحطيم الخلافة عام 1924م .

لقد كانت هذه الحقيقة راسخة في ذهن الإمام الشهيد عبدالله عزام، مما جعله يصرح قبل استشهاده أن الجهاد الأفغاني هو بداية خط التحول التاريخي في العالم كله .

وهذا مؤشر فعلا على أن خط الصعود الحقيقي للإسلام قد بدأ، وأن الفئة المجاهدة ستمسك بزمام القيادة مرة أخرى كما كان أسلافهم، ونرجو الله أن يتمم للمجاهدين بالنصر العظيم وأن يمك ن لهم في الأرض .

لم يكن إمام الجهاد يؤمن بهذه الفكرة نظريا فحسب فيعيش كما يعيش الفلاسفة ; يخططون ويرسمون وهم يعيشون في بروجهم العاجية، دون أن ينزلوا إلى واقع الأرض، ولا يمشون خطوة واحدة على الأرض ، وإنما كان يترجم أقواله إلى الأفعال ; فنراه قد نزل إلى ميدان الجهاد، وامتشق سلاحه، وخاض المعارك بنفسه، واصطحب معه أولاده إلى الجبهات، ومعظم المعارك التي شهدها داخل أفغانستان وجدناه يصطحب أحد أولاده فيها، يمشي أمامهم ليكون قدوة لهم، وقبل أن يقول لهم جاهدوا نراه يجاهد أمامهم عمليا، فكان الشهيد بحق قدوة ليس لأولاده فحسب بل للشباب المسلم في أرض الجهاد.

وقبل استشهاده بسنة - في آخر رمضان شهده قبل استشهاده - كان في معسكر صدا حيث كان يقضي معظم وقته يحرض الشباب المسلم على القتال، ويبوئهم مقاعد للقتال، ويعيش بين بطون الكتب يلتقط الد رر مما يتعلق بأحكام الجهاد ليعلمها للمجاهدين في سبيله، وكان بصحبة ولده حذيفة حيث يروي لنا كيف تحركوا من صدا في العشرين من رمضان سنة 1988م إلى جاجي، حيث وصلوا العرين مساء في نفس اليوم وطووا ليلتهم فيها ، وفي صباح اليوم الثاني تحركوا إلى المأسدة، وعند وصولهم إليها كان لا بد من مواصلة الطريق الى تشاوني والمسافة بعيدة، ولابد من السير على الأقدام زهاء أربع ساعات ونصف، ولابد لكل مجاهد أن يحمل سلاحه الفردي وذخيرته بنفسه، فأشار قائد العملية على الشهيد عزام أن لا يحمل ذخيرته وسلاحه لأنها ستتعبه على الطريق، ولكنه أص ر أن يحمل ما يخصه من الذخيرة وقال له: ؛ بل لابد أن أحمل السلاح والذخيرة وأكون في المقدمة، وإذا حمل غيري من الشباب كلاشنكوفا فلا بد أن أحمل اثنين..... وهكذا « .

وبالفعل بقي حاملا سلاحه وذخيرته طول الطريق، والشباب يحاولونه - أحيانا - أن يحملوا عنه ولكنه كان يرفض ذلك أبدا .

وأخيرا وبعد مسيرة أربع ساعات ونصف مشيا على الأقدام وصلوا إلى تشاوني حيث ابتدأت العمليات هناك على الشيوعيين، وكان القصف شديدا من مختلف الأسلحة ومن الجانبين .

وكان الإمام الشهيد قد وضع لنفسه برنامجا وهو في جاجي; حيث بقي ثمانية أيام - في العشر الأواخر من رمضان - يقوم الليل ويستمر حتى طلوع الفجر،

أما القرآن الكريم فلم يكن يكف عن قراءته، وكان يردده دائما، وكان الشيخ حافظا للقرا كاملا .
وفي اليوم التاسع والعشرين من رمضان سنة 1988م ، وفي ليلة العيد فتح الله على المجاهدين وافتتحوا تشاوني، وكان نصرا من الله ؛ وما النصر إلا من عندالله .
وكم كانت فرحة المجاهدين بهذا الفتح، بعد أن كان الشباب المجاهد الذين يرافقون إمام الجهاد يضغطون عليه حتى يرجعوا قبل العيد إلى مدينة بيشاور حتى يقضوا عيد الفطر هناك، ولكن الشهيد - رحمه الله - كان يردد لهم - وهو يرنو ببصره ويهفو بقلبه إلى نصر الله القريب - العيد الحقيقي هنا، أي في داخل جبهات القتال .

إمام الجهاد يؤسس عرين الأسود

كان أول معسكر أسسه إمام الجهاد الشهيد عبد الله عزام معسكر صدا ليكون قاعدة انطلاق وتدريب للمجاهدين العرب على أرض أفغانستان، كان ذلك في رمضان سنة 1986م، ولم يكن يومها معه سوى مجموعة من المجاهدين العرب يعدون على الأصابع، ولايزال بعضهم يجاهد على أرض أفغانستان إلى يومنا هذا .
كان الإمام الشهيد يدرك أن الأمة لا تساوي شيئا بدون جهاد، وأن الأمم لا تقيم لها وزنا ولا تحسب لهاحسابا إلا إذا توجهت بكليتها إلى ذروة سنام الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله، لتتخذه طريقا إلى العزة وسلما إلى السؤدد والرفعة.

فرأى - رحمه الله - أن هذه الفرصة سانحة على أرض أفغانستان بوجود حركة إسلامية وشعب كامل خلفها مستعد للموت في سبيل الله، وإعزاز دينه وتطبيق شرعه، وأنه لن يلقي السلاح من يده بإذن الله حتى يأذن بقيام دولة الإسلام، رأى هذ الفرصة الذهبية فوجه أنظار المسلمين في الأرض إلى هذا الجهاد العظيم حتى يقفوا خلفه، وأمسك - رحمه الله- بمقود القطار وأدار عجلاته باتجاه سكة الحديد ليمشي عليها، لتسير هذه الأمة بالإتجاه الصحيح بعد أن تاهت عنه - أو كادت أن تتيه -، فلفت انتباه المسلمين في الأرض إلى أهمية الجهاد، إن هي أرادت حقا أن تعود لها القيادة والريادة مرة أخرى في العالمين.
وكان يدرك أن الاسلام لا يمكن أن يقوم مرة أخرى إلا كما قام أول مرة، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، من خلال جماعة إسلامية يربي أفرادها على العقيدة من خلال مواجهة الطواغيت في الأرض - وهذا أمر لايمكن تجاوزه-،هذه النواة الأولى لابد أن تتلقى قسطا من التربية على الإسلام ثم تصطدم بالجاهلية، لأن الحق لا يمكن أن يتعايش مع الباطل أبدا ، فتحمل السلاح وتجاهد في سبيل الله لإقامة دينه وتطبيق شرعه، وبعد أن يط لع الله على صدق نياتهم يمك ن لهم في الأرض.
ومن هذا المنطلق أسس الشهيد عزام هذا المعسكر وغيره في ساحة الجهاد، ليقف المجاهدون العرب مع إخوانهم في العقيدة (المجاهدون الأفغان)حتى يأذن الله تعالى بقيام دولة الإسلام، وكان الإمام يدرك - أكثر من غيره- من خلال رؤيته البعيدة أن التربية لا يمكن أن تتم من خلال الكتب النظرية، وأن هذا الدين لايؤخذ من خلال فقه الأوراق، بل من خلال الحركة به في الواقع، من خلال مواقف الرجال وميادين النزال في ساحات الجهاد .

لأجل ذلك أسس إمام الجهاد معسكر صدا وغيره، رغبة منه أن يصبح لها شأن عظيم في المستقبل - وهذا مانراه باديا للعيان الآن - بأن تصبح محطات لتوجه الشباب المسلم إليها من كل أنحاء العالم الإسلامي، يتوجهون إليها في إجازاتهم وعطلهم الصيفية، بدلا من توجههم إلى الدول الأوروبية - أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا أو سويسرا - حيث تحرق فيها أخلاقهم الإسلامية وتغسل فيها أدمغتهم، وتبذ ر فيها أموالهم وعملاتهم .
لقد أصبح الشباب المسلم فعلا يفدون إلى هذه المعسكرات على أرض أفغانستان، بل أصبحت القبلة التي يتوجه إليها الشباب المتعطش للجهاد والإستشهاد في سبيل الله، فأصبحت المحطات التي يرسون عليها ويفيئون إليها، أصبح معسكر صدا وغيره عرينا للأسود، وقواعد لهم يتدربون فيها على جميع أنواع الأسلحة، ويأخذون قسطا كبيرا من التربية الجهادية، فبعضهم يبقى بعد انتهاء إجازته ليتخذ من أرض الجهاد مستقرا ووطنا له حتى النصر أو الشهادة في سبيل الله، حتى الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم التي جاءوا منها، يعودون وهم يحملون بين جوانحهم الحنين إلى الجهاد والإستشهاد، ويحملون الفكر الجهادي الذي تعلموه من أرض الجهاد هذا النور نور الجهاد الذي امتلأت قلوبهم به لينقله إلى أهله وعشيرته وأمته .
لقد كانت رغبة الإمام الشهيد عزام من وراء تأسيس هذه المعسكرات حتى يفد الشباب من العالم الإسلامي إلى ميادين الجهاد، ليكونوا على مقربة من رموزه وقادته الذين برزوا من بين ألسنة اللهب - لهيب المعارك -، ومن خلال فوهات البنادق، ومن بين صليل السلاح ; حتى ينهلوا من هذا النبع الصافي، نبع الجهاد على أرض أفغانستان ليعودوا مبشرين ومنذرين، يحملون لأقوامهم هذا الفكر الجهادي ويطبقونه سلوكا وعملا في واقع الأرض ليعم نور الجهاد أرجاء الكرة الأرضية انتظارا لذلك اليوم الذي تجهز فيه أمه الإسلام على طواغيت الأرض وتطهر مقدسات المسلمين من رجس ودنس اليهود والصليبيين " ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم" .

الشهيد عزام "سيد قطب الأردن"

لقد كان الشباب المسلم في الأردن يطلقون على الشهيد عزام " سيد قطب الأردن " نظرا لوجود التشابه بينه وبين سيد قطب - رحمه الله -من عدة نواحي ; أنهما الإثنان أبناء حركة واحدة - الحركة الإسلامية-، ولمواقفهما الصلبة في قول كلمة الحق مهما كلفهما ذلك من ثمن باهظ .
لقد طلب وزير الداخلية من الشهيد عزام أن يقدم اعتذاره لمدير مؤسسة الرأي الأردنية إثر مشاجرة كلامية بعد تهجم المدير في جريدته على العلماء والمشايخ ، فأبى الشهيد وقال:
(والله لو جاء واعتذر لي ما قبلت اعتذاره)، وهذا يذكرنا بنفس الموقف الذي وقفه الشهيد سيد قطب يوم أن رفض تقديم اعتذاره للرئيس مقابل أن يرفع عنه سيف الإعدام،وقال: " إن إصبعي الذي يشهد لله بالوحدانية كل يوم خمس مرات- في الصلاة - ليرفض أن يكتب حرفا واحدا يقر به حكم طاغية ".
والشهيد عزام كان له منهجا فريدا وهو يعمل ضمن الحركة الإسلامية ، فكان يرى - رحمه الله - أنه لابد للحركة أن تنطلق من طور السرية -نوعا ما- إلى مرحلة الجهرية ، لأن بقاءها -هكذا- سيحولها في النهاية إلى معميات وألغاز ، ثم دخول أفرادها -في النهاية- إلى سراديب تحت الأرض ، بحيث يصبح الناس لا يفهمون مايريده الداعية من دعوته للآخرين .
لقد سمعته ذات مرة يتكلم مع أحد الإخوة إذ كان يعيب على أحد الإخوان أنه مكث سبع سنوات وهو يعلم في مدرسة ولم يعرفه أحد من المعلمين ولا من

الطلاب أنه من أبناء الحركة الإسلامية ، قال الشهيد معقبا على كلام الأخ: (كيف يستطيع الداعية أن يكون قدوة للآخرين وينشر دعوته بهذه الطريقة؟ لقد كان الشهيد ؛ إمام الجهاد " عندما يقف بين طلابه وطالباته في الجامعة الأردنية يعر ف باسمه فيقول: (أخوكم عبدالله عزام من الإخوان المسلمين) ، كان يرى أن السرية في التنظيم لايعني عدم معرفتك أنك من أبناء الحركة الإسلامية، وإنما يعني عدم كشف موقعك في التنظيم أو دورك داخل الحركة.

وكان الشهيد أيضا عندما يذهب إلى الجزيرة العربية في أواخر السبعينات بخصوص الدعوة يعتب على بعض قادة العمل الإسلامي أنهم يكممون أفواه الشباب المسلم المتحمس لدينه ويحاولون اعتقال لسانه ، ومنعه من الكلام بحجة أنهم يعيشون في ظل دولة لا تسمح بوجود التنظيمات داخلها .

إن هذا النهج ما كان يعجب البعض فيتهمون الشهيد بالتشدد والتهور، فكان يقول له البعض : **يا شيخ عبدالله أنت تريد أن تفتح لنا أبواب السجون .**

ولكن هذا المنهج دفع بالحركة خطوات كبيرة إلى الأمام، بل دفع بالحركة الإسلامية في الأردن والجزيرة العربية من كونها تسبح تحت سطح الماء إلى تيار يسبح فوق الماء ، ولهذا كان الشهيد يرى أن القيادة أمانة ولابد أن تكون ميدانية ، بمعنى أن يكون القائد في مقدمة الجند ، ولا يجوز بحال أن يكون في مؤخرة الركب يدير الحركة (الريموت كنترول)أي عن طريق الضغط على الأزرار الحمراء ، لأن القيادة هي الأسوة الحسنة

والتطبيق العملي للمنهاج الذي تدعو الناس إليه ، فاذا لم يكن هناك معايشة من قبل القائد لجنوده الذين حوله فإن هذا سيفقدها الثقة به ، ولا يكون لها أثر في النفوس .

وقد كان ص خير قدوة لنا، وهو المنهاج العملي التطبيقي لما يدعو إليه، وكان في جميع غزواته أمام أصحابه، وكان يوم حنين راكبا على بغلته وهو يردد:(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب). وقد ترجم الشهيد عزام أقوال رسول الله ص وأفعاله، فمثلا :فهم الشهيد كيف وقف رسول الله ص أمام طواغيت قريش يقرأ على مسامعهم: {هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ - مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ - عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} .. سورة القلم 11-13)

ويقرأ عليهم: { قلْ ياأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ماأعبد } .

إن موقفا واحدا من مواقف الشهيد تشهد له بأنه كان بمثابة أمة برجل، ويوم أن أجمعت المنظمات في الأردن سنة 1970م على الاحتفال بالذكرى السنوية لميلاد لينين، ورتب لهذا الإحتفال وزير أوقاف الأردن آنذاك، وطبعت صور لينين وعلقت على الجدران، ولم يبق بيت ولا مدرسة إلا ولطخت بهذه الصور، وقد خيم الصمت يومها على الناس، والناس يكادون يتمزقون أسى وحزنا لما يرون من انتهاك دينهم وقيمهم .

وكان الشهيد يومها لازال في قواعد الشمال - قواعد الشيوخ- فامتشق سلاحه وصعد المنبر يوم الجمعة، وبدأ يخطب بالناس في مدينة إربد ويتحدث عن إجرام الشيوعية ومساوئ أفراخ اليهودي ماركس ; لينين وستالين، والناس ينظرون بدهشة وكل واحد يتوقع بعد لحظة سيسفك دم الشيخ، وفي نهاية الخطبة والصلاة تقدم محافظ المدينة باتجاه الشهيد وقال له بعد أن صافحه بحرارة : ياشيخ والله رئيس وزراء الأردن لايجرؤ أن يلقي مثل هذا الخطاب - في الوقت الذي كان يرتجف فيه الناس خوفا من اليساريين لأنهم مسلحون- أنا وما أملك في المدينة تحت تصرفك .

وقد قام الشهيد على أثر ذلك وألف كتابا سماه(السرطان الأحمر) بين فيه أن الشيوعية هي وليدة اليهودية، بزعامة ماركس حفيد المردخاي ماركس، وأن اليهود كانوا وراء الثورة الشيوعية البلشفية في روسيا .

نقلة بعيدة في حياة إمام الجهاد

سمع الشهيد عبدالله عزام نداء الجهاد على أرض فلسطين فلبى هذا النداء، كانت أول خطوة - يراها عقبة في طريقه- يريد أن يتجاوزها هي ; كيف يوصل هذا الخبر بهدوء الى شريكة حياته أم محمد، فأسر في أذنها ذات يوم وبصوت خافت كلمات فقال لها: ياأم محمد ; لو أخبرتك أنني أريد أن التحق بركب الجهاد فماذا تقولين ؟ قالت له: إن أم نت المصاريف المادية لي سهل الله أمرك ولن أقف في طريقك، فما كاد الشهيد - رحمه الله- يسمع جوابها حتى طار فرحا لأنه أيقن أن هذه اللبنة - زوجته- التي أعدها لمثل هذا اليوم بالتربية والبناء قد نضجت وفهمت الواجب الملقى على عاتقها تجاه مسيرة زوجها المجاهد الذي ينوي أن يحمل لواء الجهاد ليشق الطريق الوعر لهذه الأمة التي استنامت بفعل النعيم والترف الذي نخر عظامها وكاد أن يقتل فيها رجولتها وشهامتها .

فأيقن الشهيد أن زوجته قد عرفت مايريد، فقال لها إذن هيئي نفسك واحزمي أمتعة المنزل وأغراضه استعدادا للرحيل ...الرحيل من أين و إلى أين ؟... من العاصمة، ومن شقة في جبل من جبالها حيث الهدوء والراحة التي كانوا ينعمون بها إلى مواجهة الصعاب والإقدام على أشق عبادة على النفس ؛ عبادة الجهاد«، وهجر كل وسائل الراحة حيث الثلاجة والغسالة وغرف النوم وصالة الطعام ...الخ.

وانتقل بزوجته إلى مكان بعيد عن أنظار الناس في مدينة جرش أولا عند أحد أرحامها، وطلب منها أن تكتم هذا الخبر حتى لا يعلم به أحد فيتسرب إلى أهله وأقربائه الذين يعيشون داخل فلسطين فيتعرضون لملاحقات العدو، هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان الجهاد يومها مستغربا في دنيا المسلمين، فلا يقوم بهذه العبادة إلا العاطلون عن العمل الذين ليس لهم وظيفة!!

أما أصحاب الوظائف والكراسي فهؤلاء لايليق بهم - بحال -أن ينزلوا إلى هذا المستوى ويتركوا وظائفهم وينزلوا من عليائهم، هكذا كان ظن الناس، وأظن أن بعض البسطاء حتى يومنا هذا يفكر مثل هذا التفكير، فأراد الشهيد أن يحطم مثل هذه الأوهام والحواجز النفسية، فأقدم على الإستقالة من وظيفته حيث كان يدرس في أحد مدارس العاصمة، ثم قام بعد ذلك ونقل عائلته إلى غرفة من طين في مدينة الزرقاء، غرفة واحدة بلا تهوية ولامنافع ولا حمامات، فهي غرفة النوم وهي غرفة الإستقبال، والإنتقال بالزوجة من حياة الرخاء والنعيم إلى حياة الزهد والتقشف ليس بالأمر الهين، ولايقدر عليه إلا من جبلت نفوسهم وأرواحهم بعظمة الإيمان واليقين بالأجر العظيم والنعيم المقيم الذي أعده الله تعالى للمجاهدين الصادقين .

وأقبل الشهيد يومها على ساحات الجهاد يعد ويرابط ويجاهد، يعد الكتائب ليدق بها دولة الباطل، ويفك أسر أقصى المسلمين من اليهود الذين يدنسون ساحاته وشرفاته ومساطبه، وهو بهذه النقلة البعيدة يعطي درسا عمليا للدعاة والعلماء في الأرض أن هذا هو الطريق إن كانوا جادين في العمل لهذا الدين، وإن كان في نظرهما إن هذا المنعطف في حياة الإنسان مليء بالمخاطر وبمستقبل مجهول ، لأن هذا العمل وهذا الطريق هو الذي يؤمن به المسلم مستقبله إلى الأبد بالفوز بالجنان والفردوس الأعلى .

إن الشيخ الشهيد أراد أن يعطي أصحاب المراكز الحساسة والدرجات العالية الذين يسعون ليلا ونهارا من أجل الترقية والدرجة في الوظيفة لينالوا في النهاية تقاعدا لهم ولأولادهم أن الجهاد لم يفرض فقط على هؤلاء الفتية والشباب الذين باعوا أغلى ما يملكون من دنياهم، وهذا المتاع الرخيص بجنة عرضها السموات والأرض، وإنما الجهاد فريضة لازمة في عنق كل مسلم وإن كان من الأغنياء أو الزعماء، وقد ضرب لهم الشهيد مثلا أعلى في نفسه، بل من قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن يتخلف عن غزوة، ولم يكن يرسل أصحابه أو بعضهم ويجلس ينظر إليهم.
لقد أفهم الشهيد عزام بطريقة عملية أنه عند النفير لايستثنى أحد لا من الزعماء ولامن الأغنياء، فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل بلالا وصهيبا وعبد الله بن مسعود ويقول لهم: أنتم اذهبوا وقاتلوا ولا بأس أن يراق دمكم دفاعا عن غيركم، أما أنتم: أمثال عبد الرحمن بن عوف والصديق لا تذهبوا إلى الجهاد لأهميتكم ومركزكم الرفيع في مجتمعكم، ولكن الله تعالى خاطب الجميع بقوله:
" إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ". (التوبة: 93)
كان العاملون في الحقل الإسلامي يتخوفون من إراقة الدماء، فقدم الشهيد روحه في سبيل الله وسفك دمه ليكون - بطريقة عملية - عبرة لهم ودرسا بليغا ; أن شجرة هذا الدين لا تستوي على ساقها ولا تزهر ثم تثمر إلا بدماء الشهداء العلماء، فهل من مدكر ؟!

جهاد الشهيد في فلسطين

بعد احتلال الضفة الغربية 1967م حيث سقطت والشهيد يعيش داخل فلسطين، لم يرق للشهيد أن يعيش في ظلال الإحتلال اليهودي بعد ما رآه بأم عينه من دخول الدبابات اليهودية إلى فلسطين -وكأنها في نزهة- قد أثر على نفسه كثيرا ، مما جعله يأخذ للأمر أهبته واستعداده ، لذلك اليوم الذي يثأر فيه لدينه وربه ولأقصى المسلمين , فبعد الاحتلال اليهودي للضفة الغربية والقطاع بأسبوع تقريبا كان الشيخ يتململ من الوضع الجديد الذي رأى فيه نفسه أنه يعيش مكبلا داخل عشه وقفصه ، فصمم على الهجرة من فلسطين إلى شرق الأردن نظرا لأنه :
لم يرق له أن يعيش ذليلا أسيرا مقيدا بقيود الاحتلال ، وامتثل لقوله تعالى:
(ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) ... (النساء: 79)
حتى لايكون من المستضعفين الذين لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلا فتنطبق عليه الاية:
(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض). (النساء: 79)
ويوم أن حاول شيخنا الشهيد أن يخرج من القرية تشبث به والدي ومجموعة من أقربائي قائلين له: ياشيخ عبدالله كيف تخرج وتتركنا ? فأجاب الشهيد يومها - رحمه الله - (أنا لا أستطيع أن أتعايش مع اليهود، كيف ترضون مني أن يمر اليهود أمام ناظري- دون أن أقف في وجههم - وأنا مكتوف الأيدي ?).
لذلك عزم الشيخ الشهيد أن يخرج مشيا على الأقدام ومعه مجموعة من الشباب بينهم رجل كبير من أهالي القرية، وبينما هم يتحركون باتجاه الشرق وفي منتصف الطريق اصطدموا بدورية عسكرية اسرائيلية ، فاستوقفتهم، وقام أحد الجنود بتفتيش الإخوة ، فكان الدور ينتظر الشيخ الشهيد ، فلما مد

الجندي يده في جيب الشيخ أمسك بيد الجندي حتى لا يقع المصحف الصغير الذي كان يحمله بيد اليهودي لأن الكافر لا يجوز لنا أن نمكنه من المصحف ، فرجع الجندي اليهودي إلى الوراء وسحب أقسام البندقية، وأراد أن يقتل المجموعة ومن ضمنهم شهيدنا ، فتشهد الشيخ الشهيد ، وتقدم الرجل الكبير الذي يرافقهم يرجو الجندي أن يطلق سراحهم قائلا له إنهم أبنائي ، وتدخل أحد الضباط اليهود الذي دار بينه وبين الجندي محاورة أسفرت عن إطلاق سراحهم .

ثم تابع الشيخ الشهيد سيره باتجاه الاردن حتى وصل إليها ، وقد تعاقد مع التربية والتعليم في السعودية لمدة سنة رجع بعدها إلى الاردن وبعد ذلك كان الشهيد يعمل معلما في مدرسة التاج الثانوية للبنات ، وكان يقيم في شقة في نفس الجبل غرفة في عمان، وفي ليلة هادئة ، وإذا بصوت نشيد ينبعث منه الحماس، من أفواه بعض الشباب للقتال على أرض فلسطين ، فيقول الشهيد : فقلت في نفسي: أليس من العار عليك يا عبد الله أن يسبقك هؤلاء الشباب إلى ساحات الأقصى ? من أولى بالجهاد منا ?
أليس الشباب المسلم أولى بالدخول إلى فلسطين والوصول إلى روابي القدس?

فذهب وقدم استقالته ، وانتقل فورا بعائلته من عمان ، من الشقة التي كان يسكن فيها مع عائلته إلى غرفة من طين !! غرفة واحدة ، هي المطبخ ، هي غرفة النوم ، وهي معدة للإستقبال ، وهي الحمامات.
وكان العمل الفدائي قد ظهر على الساحة الأردنية .
فاستنهض الشيخ الشهيد مجموعة من الشباب وبمشاورة الحركة الإسلامية في الأردن اتخذوا قواعد لهم في شمال الأردن ، وبدأوا عملياتهم على اليهود في فلسطين.
ولقد كانت ردود الفعل تجاه جهاد الشهيد شديدة فلقد جاءت مجموعة من الأقارب، من بينهم والد الشهيد لإقناعه بالعدول عن طريقه، حيث كان الجهاد يومها مستغربا ، خصوصا من موظف مؤهل يحمل شهادة ، لأنه كان في نظر الناس أن الجهاد لا يقوم به إلا العاطل عن العمل أو غير الموظف !
كان هذا في قرية الرصيفة حيث كانت تسكن شقيقته (أم محمد) فقال له والده : يا بني أنا كنت مؤملاً أن تكون من القضاة الكبار في عمان، وإذا بك تدور مع الأولاد الصغار -مع الشباب في الجبال، وبدأ يبكي هو والوالدة.
فهب الشهيد غاضبا وقام من مكانه وقال: أنا أدعوكم إلى الجنة وأنتم تدعونني إلى النار (يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار). (المؤمن: 14)
فمن يومها يرى الشيخ عبدالله أنه لا إذن للوالدين منذ أن كان مجاهدا على أرض فلسطين.
اما زوجته أم محمد: فقد ارتضت هذا الخط الجهادي الذي قبله الشهيد لنفسه وصبرت معه.
فبعد رجع الشيخ الشهيد من السعودية إلى الاردن سنة 1968م، وكان رحمه الله يرى أن السيف أصدق أنباء من الكتب ، وأن الكلمة لابد أن يرافقها السيف ، وأن الأمم لا تعترف بالضعفاء ، فالشطر الأول من عمره قضاه على أرض فلسطين دون أن تتاح له فرصة استعمال السلاح وهو يدب على أرضها نظرا لدخول قضية فلسطين الإسلامية إلى المحافل الدولية ، وللجمود والركود الذي واكبها بين سنة 1949م- 1967م .

ولذلك عاودت فكرة التدريب واستعمال السلاح للوقوف في وجه اليهود تداعب أفكار الشيخ الشهيد ، وكيف يهدأ باله آنذاك وهو يرى حثالة اليهود تسرح على أرض فلسطين وتدنس مقدسات المسلمين ?! فحرض الشباب واستنهض هممهم للتدرب على استعمال السلاح لمقاتلة اليهود .
وقد اتخذ الشيخ الشهيد مع مجموعات من الشباب المسلم قاعدة لهم في شمال الاردن كان الناس يطلقون عليها (قواعد الشيوخ)، وكان الشهيد أميرا لقاعدة (بيت المقدس في مرو) للانطلاق منها إلى فلسطين لمواجهة العصابات اليهودية المسلحة.
وقد اشترك الشيخ في بعض العمليات على أرض فلسطين كان من أعظمها :-
أولا: معركة المشروع أو الحزام الأخضر التي خاضها الشهيد مع إخوانه التي جرح فيها أبو مصعب السوري، وقد حصلت هذه المعركة في منطقة الغور الشمالي .
ثانيا: وكان من بين العمليات التي أشرف عليها معركة 5 حزيران 1970م وقد اشترك فيها ستة من المجاهدين كان من بينهم أبو أسماعيل (مهدي الادلبي) الحموي ، وإبراهيم (بن بلة)، وبلال الفلسطيني، وفي أرض مكشوفة تصدوا لدبابتين وكاسحة ألغام ، وكان دايان وزير الدفاع اليهودي قد أرسل مراسلا كنديا وآخر أمريكيا ليطوف بهم على الحدود ، ويريهم أن العمل الفدائي قد انتهى .
واذا بجند الله يخرجون لهم كالجن المؤمن من باطن الأرض، وانهالت القذائف، وجرح الصحفيان ، واعترف اليهود باثني عشر قتيلا من الجنود والضباط ، ولكن قتلى الأعداء أكثر من هذا بكثير ، وقد استشهد ثلاثة من الإخوان في هذه المعركة .(إنظر هذا في كتاب حماس 76-77 لنفس الشهيد) .
ولكن ما جرى بين الجيش الأردني والفدائيين في حرب أيلول الأسود 1970م حال دون مواصلة الشيخ الشهيد وإخوانه الجهاد على أرض فلسطين وأغلقت الحدود .
وعندما أغلقت الحدود، ومنع الإخوة من المشاركة في الجهاد على أرض فلسطين، رجع الشهيد يزاول العمل الوظيفي الذي استقال منه، ثم تابع تحصيله العلمي وحصل على درجة الدكتوراه، ورجع مدرسا في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية ، ولاشك أن هذا الأمر صعب على النفوس التي جبلت بحب الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .
وكان الشهيد عزام وهو في ساحة الجهاد -في فلسطين- يقرأ وهو في المغارة - حيث كان أميرا لقاعدة بيت المقدس (في مرو) - وكان قد انتسب إلى الأزهر للحصول على شهادة الماجستير، وفي ظل هذا الجو كان يدرس، ثم تقدم للامتحان وهو خائف من عدم النجاح ، لأن القراءة كانت على الهامش ، فأرسل الشهيد يومها لأحد الإخوة في القاهرة أن يرسل له النتيجة ، فأبرق له: إنك ناجح في الماجستير، فأرسل الشهيد لهذا الأخ قائلا : أنت استحييت أن تقول إن معدلك مقبول ولا يقبل في الدكتوراه ، فأرسل للشهيد برقية ثانية أن تقديرك جيد جدا وأرسل مخطط الدكتوراه! وإذا به الأول على الدورة بكاملها.

وفي أوائل سنة 1970م أعلنت كلية الشريعة يومها أنهم يريدون معيدين ، فتقدم فكان من ضمن المقبولين للتدريس في كلية الشريعة ، فأصبح محاضرا فيها ، ثم أرسل بعد سنة في بعثة إلى الأزهر للحصول على شهادة الدكتوراه، وفي فترة إعداده للدكتوراه التقى بآل قطب ، وأخذ عنهم أخبار

سيد قطب ، وفترة سجنه وإعدامه ، والفتن التي تعرضت لها الحركة الإسلامية أثناء اعتقال أفرادها , وفى عام 1973م حصل علي شهادة الدكتوراه ، فعاد مدرسا في الجامعة الأردنية ، وعندما كان الشهيد في قواعد الجهاد كانت نظرة الأقارب والأصدقاء تختلف تماما عن نظرتهم له ولأهله يوم أن كان معلما في المدارس الثانوية، أو بعد أن أصبح استاذا في الجامعة الأردنية .
لقد تغيرت نظرات النساء تجاه زوجته وأولاده، واحترامهم لها لأنها كانت زوجة موظف ، فأصبحت زوجة مجاهد تنتقل في الجبال مع الأولاد الصغار -مع الشباب- في نظر الناس.
لقد شكت زوج الشهيد من عدم زيارة نساء الأقارب لها، فقال لها: إطمئني أنت ستصبحين بإذن الله خيرا منهن في الدنيا قبل الآخرة، لأن الله يقول: (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة) (النحل: 14)
ويوم أن فتح الله على الشهيد وجاءت إليه الدنيا طائعة أحست فعلا زوجته أن نعمة وبركة الجهاد لا يعدلها وظيفة ولا منصب ولا مال.
فلقد أصبح راتب الشهيد عشرة أضعاف ، ولكن البركة التي كانت تخيم على بيته (غرفة الطين) يوم أن كان مجاهدا قد فقدت بعد أن أصبح أستاذا في الجامعة ، فزادت تكاليف الحياة والكماليات ، وفقد أهل الشيخ الشهيد السعادة الحقيقية والنعمة والبركة التي كانت تغمرهم أيام جهاد الشيخ في فلسطين.
ولهذا ليس غريبا أن يضيق الشهيد -رحمه الله- ذرعا بإيصاد أبواب الجهاد في وجهه، وهو يعبر عن الجهاد بالنسبة للمجاهد بأنه كالماء للسمك، فمعاودة الشهيد إلى العمل الوظيفي، والحياة الروتينية نغص عليه عيشه، وكدر عليه صفو حياته.
ورغم أن الله فتح عليه وجاءته الدنيا طائعة إلا أنه يرى أن هذه ليست هي الحياة الحقيقية ، وليس هذا هو الدور المنوط به ، وقد سار في طريق الجنة شوطا كبيرا وهو يرى نفسه الآن يعود إلى الوراء، بالرغم من أنه ربى جيلاً في الأردن، ومعظم من نلتقي بهم يقولون لنا: إننا تأثرنا بالشهيد ، ولولا الله ثم عبد الله لكنا الآن نرتع مع الضائعين ، وإن كنا ننسى فلا ننسى أروقة الجامعة الأردنية التي شهدت له في محاضراته العامة والخاصة ، وبصماته الواضحة فيها ، وقد تربى على يديه مئات الشباب المسلم العائد إلى ربه ، والذين كان يعدهم ليوم اللقاء مع العدو ليزيل بهم نير الاحتلال عن فلسطين ، ويقيم بهم دولة القرآن.
ولهذا لم يمهل ، فتم فصله من الجامعة الأردنية بقرار من الحاكم العسكري العام سنة 1980

سبب فصل الشهيد من الجامعة الأردنية :

كان الشيخ شخصية فريدة من نوعها، وقد استطاع أن ينشر أفكاره بين صفوف الطلبة في مختلف كليات الجامعة، ولهذا وجدنا أن الدولة بدأت تضيق عليه لصلابة مواقفه، ولهذا كان الشباب المسلم في الاردن يطلقون عليه (سيد قطب الاردن) لوجود التشابه بينهما في الوقوف في وجه الحكام والطواغيت ، ولذلك نجد سيد قطب قد وقف في وجه حكام عصره مما أدى إلى أن يكلفه ذلك حياته .
وقد كان شهيدنا من هذا الطراز، بل تربى على فكر سيد قطب وتأثر به وبأسلوبه ، فكان يصدع بكلمة الحق مهما كانت النتائج .

وقد وقع بين يدي شهيدنا ذات مرة جريدة الرأي الأردنية ، وإذا بها كركتير يضم مجموعة من المشايخ وهم يحملون بندقية (16م)، وفي أسفل الصورة يرمز إلى أنهم مخابرات أمريكية.
فاتصل الشهيد بمدير المؤسسه الصحفية وطلب منه أن يعتذر على ما أصدره في هذه الصحيفة ، فرفض المدير هذا الطلب ، فقال له الشهيد: لقد اعذر من أنذر .
وإذا بالمدير يتصل بالحاكم العسكري الأردني الذي قام بإصدار قرار بفصله من الجامعة سنة 1980م .

بدأت أجهزة الأمن تضيق على الشهيد وتحد من نشاطه وحركته في نشر الدعوة وإلقاء المحاضرات والدروس ، فقرر أن يبحث عن مكان آخر للدعوة ، فغادر إلى السعودية حيث عمل عام 1981م مع جامعة الملك عبدالعزيز في جدة .
ولكنه لم يطق العيش بين أعطاف النعيم ، فطلب من مدير الجامعة العمل في الجامعة الإسلامية الدولية / في إسلام آباد، ليكون قريبا من الجهاد الأفغاني ، فانتدب للعمل فيها سنة 1981م.
إستقالة الشهيد من جامعة الملك عبد العزيز:
رجع الشيخ الشهيد في نهاية عام 1983م إلى جدة من أجل تجديد فترة الإنتداب ، فوجد إدارة الجامعة في جدة قد أنزلت له برنامجا حتى يدرس فيها ، ورفضت الجامعة تجديد عقد الإعارة لحساب الجامعة الإسلامية (في إسلام آباد)، فقدم الشيخ استقالته وتعاقد مع الرابطة 1984م [هكذا في الأصل والصحيح أن التعاقد مع الرابطة كان في نهاية عام 1986م]. وعاد مستشارا للتعليم في الجهاد الأفغاني .
وعندما اقترب من المجاهدين الأفغان وجد ضالته المنشودة، وقال: هؤلاء الذين كنت أبحث عنهم منذ زمن بعيد ، حيث بدأ العمل الجهادي في عام 1982م ، وقد قام عام 1984م بتأسيس مكتب الخدمات الذي كان ولايزال يوجه الإخوة العرب في خدمة الجهاد الأفغاني ، وقد قدم استقالته من الجامعة الاسلامية [الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد].، وتفرغ للعمل في الجهاد الأفغاني، ولهذا المكتب الذي استقطب معظم المجاهدين العرب القادمين لأفغانستان نشاطات كثيرة في كل أنحاء أفغانستان - تقريبا - بين المجاهدين تعليمية وتربوية وعسكرية وصحية واجتماعية وإعلامية .
لقد صبر الشهيد على ظلم الطواغيت، فكان كالطود الشامخ لا يحني هامته إلا لله العزيز القهار، فآثر الأفعال على الأقوال، وآثر الجهاد على القعود مع الخوالف من النساء والولدان.
آثر الجهاد على البريق الخادع والمناصب الكاذبة التي تجذب أصحابها إلى مستنقع الطين والذل التي تكلفهم أن يقدموا على مذابح الذل أضعاف ما تتطلبه الكرامة .
لقد كان من ضمن وصايا الشهيد: أيها المسلمون:حياتكم الجهاد، وعزكم الجهاد، ووجودكم مرتبط ارتباطا مصيريا بالجهاد، أيها الدعاة: لا قيمة لكم تحت الشمس إلا إذا امتشقتم أسلحتكم وأبدتم خضراء الطواغيت والكفار والظالمين .
إن الذين يظنون أن دين الله يمكن أن ينتصر بدون جهاد وقتال ودماء وأشلاء هؤلاء واهمون لا يدركون طبيعة هذا الدين.

إمام الجهاد....أمام العلماء

تلفت الشباب المسلم في الأرض من حولهم- فظنوا أن الأمة قد عقمت - ليروا عالما مجاهدا يحمل القرآن بيد ويحمل الحسام باليد الأخرى، يعيد لهم سيرة الأولين، منقبضا عن السلاطين والأمراء، وإذا بهم يهتفون: إنه العالم الرباني المجاهد الشيخ عبدالله عزام.

لقد جدد إمام الجهاد سيرة العلماء العاملين المجاهدين في سبيله من سلف هذه الأمة، وحاول أن ينفض غبار الذل عن وجه هذه الأمة التي تركت الجهاد ; فرفض أولا أن يقف مواقف الفتن التي أشار إليها حذيفة ابن اليمان كاتم سر رسول الله ص الذي قال:(إياكم ومواقف الفتن، قيل: وماهي ؟ قال:أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه). وفعلا هي مواقف فتن كقطع الليل المظلم، إذ الأمراء والسلاطين يغرقون العلماء بأعطياتهم فيسكتون على ظلمهم وجورهم وردتهم المتمثلة بالولاء للكافرين، وكما قال بعض السلف:(إنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه).

لقد كان الإمام الشهيد عـزام من طراز آخر، نظر فوجد حال الأمة مستضعفة، مستباحة الحمى، يستنسر البغاة بأرضها، فاستنهض همم الشباب، بعد أن هيأ الله لهذه الأمة جهادا على أرض أفغانستان، وهز أفئدة العلماء حتى يفيقوا من سباتهم العميق، وبينلهم أن العالم الإسلامي ابتلع قطعة قطعة على أيدي اليهود والصليبيين والملحدين، ذهبت الأندلس، وضاعت فلسطين، وكادت أفغانستان أن تضيع، لولا أن الله تعالى قيض لدينه قوما آخرين - المجاهدون الأفغان- فوقفوا سدا منيعا في وجه الدب الروسي الذي أراد أن يزحف على العالم الإسلامي، فصد ر الشهيد فتواه- في الجهاد - في فرضية العين في الدفاع عن أراضي المسلمين، فوافق عليها مجموعة من العلماء، كما أرسل رسائل أخرى إلى بعض العلماء المعتبرين يب صرهم بواقعهم الأليم، ويضعهم أمام مسؤولية عظيمة بين يدي الله، فحاول أن يستحث خطاهم، وأن يوقظ ضمائرهم وأفئدتهم ليتقدموا لقيادة هذا الجيل الراجع إلى ربه ولا يترددوا وإلا فإن العاقبة وخيمة، والمسؤولية بين يدي رب العالمين عظيمة، والحساب الذي ينتظرهم عسير .

حاول الإمام الشهيد أن ينقلهم من حياة الترف والنعيم ودغدغة العواطف إلى حياة الجهاد والرجولة والجدي ة في العمل لهذا الدين، فأظهر لهم حقيقة كانت غائبة عن أذهانهم ; أنه لا يمكن أن يغني عن الجهاد أي شيء، سواء كانت دعوة بالمحاضرة أو الخطبة، أو تأليفا للكتب، وإلا فيودون غير ذات الشوكة تكون لهم، ويريدونها عرضا قريبا وسفرا قاصدا .

وهنا بدأ الإمام الشهيد يضع علماء الأمة على الجادة القويمة، ويضع أيديهم على الدواء الناجع لإخراج هذه الأمة من مستنقعها الآسن، ورأى عالم الكفر مجتمعا أن نتائج هذا الجهاد العظيم ليست في صالح الشرق أو الغرب، وأن الأمة بدأت تسير بالإتجاه الصحيح لتتسلم الريادة والقيادة، وأن هذه القيادة ستنتزع من أيدي اليهود والصليبيين والشيوعيين، وستؤول بإذن الله إلى قيادة إسلامية راشدة، فسارع عالم الكفر إلى التكالب لحسم هذه القضية سريعا لصالحه، نظروا فوجدوا أن البقعة التي كانت بمثابة الشرارة التي بدأت تقدح لتفجر الجهاد في العالم الإسلامي هي أرض أفغانستان، فلا بد من تحطيم هذا الجهاد بشتى المؤامرات العالمية، ووجدوا أن الذي بدأ يشعل الحرائق هنا وهناك هو الشهيد عزام الذي أثر على شباب العالم الإسلامي، وعلى علماء الأمة،

وأصبحت كلمته مسموعة عندهم، وقد أصبح الإمام الشهيد بحق شخصية إسلامية جهادية عالمية، ورمزا يمكن أن تلتف الأمة من حوله، إذن فلا بد من طمسه، ولابد من قتل هذا الجبل الأشم، وإطفاء هذا النجم الساطع الذي يقف في وجه مؤامراتهم ويفشل مخططاتهم .
كان الغرب الصليبي قد بدأ قبلها يضغط على حكام المنطقة في العالم الإسلامي لتضييق الخناق على هذا الجهاد ماديا ومعنويا، حتى وصل الأمر بهم منع الشهيد عزام في آخر حياته أن يحاضر عن الجهاد، وأن تمنع اليد المحسنة أن تتوجه بأموالها إلى الجهاد والمجاهدين، ومنعت المحاضرات والندوات عن الجهاد، وكمم ت الأفواه، وبدأ معظم العلماء يعودون إلى شرنقتهم التي خرجوا منها - بنداء الجهاد- وحظر بيع الأشرطة المرئية والسمعية التي تتحدث عن الجهاد والتي كانت تحيي الأمل في أعماق الأمة للجهاد في سبيل الله، وتجرأ العدو الصليبي على بلاد المسلمين لنهب خيراتها ومنعها من الإستفادة من ثمرة جهادها .
والأمر طبيعي أن الأمة إذا تركت الجهاد في سبيل الله سلط الله عليها ذلا لا ينزعه حتى يراجعوا دينهم من جديد، وإلا فلينتظروا وعد الله ووعيده المتمثل في قوله تعالى:
" ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم ".
(المائدة: 45)

التعليم في أفغانستان

بين الغزو الشيوعي والزحف الصليبي

لقد حاول الغرب النصراني أن يستعمر أفغانستان, كما إستعمر ديار العالم الاسلامي عن طريق الجيوش والغزو العسكري فلم يفلح, واثبت الشعب الافغاني المسلم إنتمائه للاسلام وأصالة فطرته ورفض أن يذل عنقه إلا لرب العالمين 0
فكانت محاولة الانجليز لجس نبض هذا الشعب سنة 1842م , حيث أدخلوا سبعة عشر الفا من جيشهم الى أفغانستان, لينصب العملاء, الذين يخدمون أهدافه, ويعملوا على علمنة التعليم ويوجدوا مدارس الحكومة التي تتربى فيها الاجيال وفق مناهج الاستعمار, حتى يتخرج جيلا ممسوخا لايعرف من الاسلام إلا إسمه ومن القرآن إلا رسمه, فكانت النتيجة أن ذبحهم الافغان ذبح النعاج وباءت هذه المحاولة بالفشل الذريع .
ثم كانت المحاولة الأخيرة من قبل روسيا, حيث جهدت في سريان السرطان الاحمر في قلب العالم الاسلامي, عن طريق أفغانستان التي تمثل البوابة الشرقية للعلم الاسلامي, واتخذ القرار عام 1979م لغزو أفغانستان عسكريا, ودخل الجيش الروسي, وظن الروس أن هذا البلد المسلم سيقع خلال عام واحد في قبضتهم, وأن أفغانستان ستصبح إحدى ولاياتها التي تضم الى الولايات الاسلامية التي ترزح تحت نير الاحتلال السوفيتي.
وماكان الغرب النصراني الكافر يظن أن المجاهدين سيصمدون أمام أعتى قوة برية على وجه الارض, كان في مخيلة الغرب أن المجاهدين سوف يستنزفون دم الدب الروسي إستنزافا, ولكن السيف الافغاني

أعاد الصواب الى رأس الدب الاحمر, فعاد يجر أذيال الخزي والعار, عاد الى قمقمه كسيفا حزينا, وقد أثخن بالجراح بعد أن كاد يسقط بين أقدام المجاهدين .
وقبل أن تنهزم روسيا أقدمت على خطة جهنمية فقامت ونقلت عشرات الآلاف من اطفال أفغانستان, والذين تتراوح أعمارهم من (5 - 10) سنوات - تم نقلهم - الى روسيا لتربيتهم على المبادىءالشيوعية, ليعودوا بعد ذلك الى أفغانستان منظمين ومنظرين للحزب الشيوعي ويمسكون بزمام الامور .
لقد رأى الشرق والغرب أن الكيد للاسلام على الحيلة أنجع, بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مواجهة الاسلام عسكريا في بادىء الامر, وكان النصر حليفا للاسلام في كل مرة, ولكن فشل الغزو العسكري الروسي الاخير لافغانستان جعل عالم الالحاد والكفر يغير من أسلوبه في حرب الاسلام.
ولايشك أن واقع الجهاد على أرض أفغانستان أدى الى هجرة الملايين من الشعب الافغاني, والى إنهيار الحركة التعليمية نتيجة شدة المعارك الحربية وانقطاع الرواتب عن المعلمين .
وتحت ستار العمل الانساني تقدمت المؤسسات الغربية تعمل لخدمة الصليب, فأخذت هذه المؤسسات التنصيرية يعمل معظمها في الجوانب التعليمية.
واذا نظرنا نظرة متفحصة لهذه المؤسسات الصليبية نجد أن عملها ليس عشوائيا, بقدر مايحمل جوانب الدقة والتنظيم, وهو عمل يخفي تحت شعارات الانسانية خدمة الصليب والتنصير والتبشير من أجل طمس معالم الشخصية الاسلامية الافغانية وتشويه معالمها .
وبذلك يبدأ الشعب الافغاني المسلم يبتعد عن دينه وتقاليده الاسلامية رويدا رويدا الى أن يصل به الامر فينخدع ببريق الحضارة الغربية, فيكون الصليب قد قام بالدور الكبير الذي عجزت أن تقوم به جيوشه العسكرية من قبل, كما عجزت أن تقوم به قوات حلف وارسو (متمثلة بالجيش الاحمر) بعد الهزيمة المرة التي ذاقها من قبل المجاهدين على أرض أفغانستان .
فلا بد من الحذر والحيطة في التعامل مع هذه المؤسسات الصليبية وإلا نكون احدى ركائزها, وفي المقابل لاينبغي للمسلمين في العالم الاسلامي أن يتخلوا عن اخوانهم في العقيدة داخل أفغانستان ويسلموهم للكافرين .
فهلا إنتبه المسلمون الي هذا المخطط اللئيم ! ولايجعلوا أبناء الافغان المسلمين عرضة للتنصير والخروج من هذا الدين !!

جهاده في أفغانستان

الحديث عن هذه النقطة يحتاج إلى مجلد كبير، لكننا سنلقي بعض الضوء عليها :

إلتفت الشهيد بعد فصله من الجامعة وإغلاق أبواب الجهاد على أرض فلسطين عله يجد أرضا يؤدي عليها عبادة القتال ، فرأى نوراً لمع فوق أرض أفغانستان ، فقال: لعل الإنفراج يكون من هناك.
وكان للقاء الذي تم بينه وبين الشيخ كمال السنانيري رحمه الله - الذي زار أرض الجهاد- عند المسعى في الحرم أثر كبير في تصميم الشهيد وعزمه أن يحمل أمتعته ويتوجه إلى أفغانستان.
ارتحل الشهيد وعمل فترة وجيزة في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، ليكون قريبا من الجهاد الأفغاني ، وبدأ يتصل بأمراء الجهاد ، وتوثقت صلاته بهم.

وكان الشهيد قد جمع محاضراته في ثلاثة أيام في الأسبوع لينصرف بقية الأسبوع للجهاد ، ولما وجد أن هذه الأيام لاتكفي لأمور الجهاد عاد فحصر محاضراته -في الجامعة- في يومين، ولما وجد أن عمله في الجامعة يعرقل سير جهاده استقال من الجامعة وتفرغ نهائيا للجهاد.

لقد تحول الشهيد بحق إلى قلب الجهاد على أرض أفغانستان وعقله المفكر ، فهو الذي عرف بهذا الجهاد في العالم ، وهو الذي نقله نقلة بعيدة من جهاد إقليمي محلي إلى جهاد إسلامي عالمي ، حتى أضحى الجهاد وأخباره حديث السامر والناس في كل مكان .

وكان الشهيد ترسا لهذا الجهاد ، يدفع عنه مؤامرات الأعداء وكيد الألداء الخصام ، وتحول فكر الشهيد إلى مدرسة جهادية عملية أقضت مضاجع الظالمين والكافرين في أرجاء الأرض ، وتحول بفضل الله أولا ثم بمشاركته عمليا في المعارك داخل أفغانستان إلى شخصية جهادية عالمية لا تبارى ، بعد أن سرى حب الجهاد في دمائه وعروقه ، وتغلغل في روحه ، وصقلت نفسيته ، ونضج واستوى على سوقه ، حتى وصل به الأمر أن يصرح قبل استشهاده : " إنني أشعر بأن عمري الآن تسع سنوات، سبع سنوات ونصف في الجهاد الأفغاني، وسنة ونصف في الجهاد في فلسطين، وبقية عمري ليس له قيمة عندي ".

فعاليات امام الجهاد في الجهاد الافغاني

أولا: تأسيس مكتب خدمات المجاهدين:

أرسى قواعده إمام الجهاد الشهيد الشيخ عبدالله عزام سنة 1984م ، عندما رأى الضرورة ملحة لدعم ومساندة الجهاد في أفغانستان ثم تفرغ للجهاد نهائيا .

1- مفهوم مكتب الخدمات : -

لابد أولا أن نحدد معنى مكتب الخدمات قبل أن نبدأ الحديث عن الهدف الذي أنشأ من أجله ، فقد يظن بعض السذج أن مكتب الخدمات ; هو مجموعة الحجرات المكونة من أربعة غرف من الحجارة والطين، يقبع فيها عدد من الشيوخ لتكون زاوية أو تكية لهم ، كالزوايا التي يلجأ إليها العاطلون عن العمل . والواقع أن هذا وهم خاطئ ، فمكتب الخدمات كما رسم وخطط له الإمام الشهيد عزام لمعنى أسمى . وقد يظن البعض أن مكتب الخدمات هو على غرار الهيئات الإغاثية المنتشرة هنا وهناك لجمع التبرعات لصالح المهاجرين الذين هربوا من جحيم الشيوعية ونارها ، فهذا كما يقول إمام الجهاد نتركه للهيئات الأخرى التي تخصصت لهذا العمل .

إذا فمكتب الخدمات لا هذا ولا ذاك ، وإنما كما حدد معناه الشهيد عزام ورسم له عمل داخل أفغانستان وإعلام في الخارج ، فإذا حذف هذان الأمران لا يبقى شيء اسمه مكتب الخدمات .

ويبدو لي أن مكتب الخدمات أصبح شخصية اعتبارية ، إذا ذكر اسمه انصرف فورا إلى ذهن السامع اسم الشهيد عزام ، وإذا ذكر اسم الإمام الشهيد عزام قفز إلى ذهن السامع فورا مكتب الخدمات ، وبناء على ذلك فإن الأعداء الذين أرادوا النيل من هذا الجهاد العظيم خططوا لاغتيال الشهيد عزام الذي كان يعتبر الجسر الواصل بين العالم الإسلامي والجهاد في أفغانستان ، فقد كان كالجسر المتحرك بين الجهاد الأفغاني وبين العالم الإسلامي .

2- الهدف من تأسيس المكتب :-

ونحن إذا أردنا أن نقف على الأهداف الرئيسية التي من أجلها أنشأ الإمام الشهيد عزام مكتب الخدمات يمكن أن نجملها فيما يلي:

الهدف الأول : توحيد المجاهدين العرب وصهرهم في بوتقة عقيدة الجهاد على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم .
منذ اليوم الأول وقف إمام الجهاد على ذروة سنام الإسلام ، ونظر نظرة فاحصة إلى ساحة الجهاد ، فوجد الشباب العربي المجاهد الوافد إلى ساحة الجهاد من تيارات وتوجهات مختلفة ، فرأى أنه لابد من العمل على توحيدهم وجمعهم تحت سقف واحد يستظلون تحت رايته ، ويكون الإمام الشهيد كرمز لهذا التجمع الذي يلتفون من حوله .
وفكر أيضا في مستقبل هذا الجهاد وقد رأى بنور البصيرة أن الأمة الإسلامية ستتلاحم وتتفاعل مع هذا الجهاد ، وأن طلائع الشباب المسلم الذين سيفدون إلى أرض الجهاد فرادى وجماعات سينزلون ضيوفا عند التنظيمات الجهادية الأفغانية ، وبالتالي فإن هؤلاء سيحسبون في المستقبل - كل واحد منهم - على التنظيم الذي نزلوا ضيوفا عليه ، مما يسبب ذلك أثرا سلبيا على الجهاد الأفغاني ، فبدلا من أن يكونوا عنصر وحدة وتجميع للجهاد سيكونون عنصر تثبيط وتخذيل وتفريق ، فكان تأسيس مكتب الخدمات ، حيث أنشأ تحت هذا الاسم بيوتا للضيافة لاستقبال الإخوة العرب الذين يفدون إلى أرض الجهاد ، منها ضيافة بيت الشهداء الذي أطلق عليه أخيرا ضيافة الشهيد عبد الله عزام .
كما أنشأ ضيافة أخرى تستقبل الإخوة المتزوجين مع عائلاتهم .
الهدف الثاني : ليكون حلقة الوصل بين العالم الإسلامي والجهاد الافغاني .
إن ما فعله الإمام الشهيد عزام من تأسيسه لمكتب الخدمات إنما هو بمثابة بناء جسور بين العالم الإسلامي والجهاد الأفغاني ، فعن طريقه تصل المساعدات والأموال ، وعن طريقه تكون الإمدادات وقوافل الترحيل للمجاهدين داخل أفغانستان وإمدادهم بالمال والسلاح حتى لا يخبو أوار المعركة ولهيبها، وحتى تبقى معنويات المجاهدين مرتفعة ، ولا يستطيع بشر أن ينكر الدور الحقيقي الذي قام به مكتب الخدمات في حياة إمام الجهاد الشهيد عبدالله عزام من استقطاب معظم المجاهدين العرب القادمين لأفغانستان ، ومن تلقي الأموال والمساعدات التي كانت ترد إلى المجاهدين ، كما لا ينكر دور المكتب ونشاطاته الكثيرة داخل أفغانستان على وجه الخصوص وخارجها ، وإن بصمات إمام الجهاد في جميع أنحاء أفغانستان بادية للعيان، سواء كانت عسكرية أو تعليمية أو إعلامية أو اجتماعية أو صحية .
الهدف الثالث : ليكون صوت الحق الناطق باسم الجهاد في العالم .
ولهذا كان إمام الجهاد يرى أن الإعلام أمر مهم وضروري لنقل صوت الجهاد والمجاهدين إلى العالم العربي والإسلامي حتى ينتشر هذا النور في الأرض، ولأهمية الإعلام فقد أنشأ الشهيد عزام مجلة الجهاد تصدر غرة كل شهر، كما اقترح عليه الأخ أبو عادل تأسيس نشرة أسبوعية باسم لهيب المعركة تنقل أخبار المعارك وانتصارات المجاهدين أسبوعيا أولا بأول .
وبالفعل استجاب الشهيد عزام لهذه الفكرة واستحسنها وبدأ يتصدر الكتابة فيها ، فكان -رحمه الله - يكتب افتتاحية اللهيب والجهاد في معظم الأحيان وهو في داخل الجبهة حيث تصل كلماته ساخنة إلى اللهيب وتنقل فورا عبر لهيب المعركة بحرارتها لتتفاعل مع قلوب المسلمين في الأرض ، وبالفعل تفاعل المسلمون مع كلماته وهو ينقل انتصارات المجاهدين ضد الشيوعيين ، وبدأ المسلمون في الأرض يرفعون رؤوسهم عاليا في كل مكان وهم يتابعون أخبار الجهاد والأمل العريض يراودهم ويحدوهم .
وبدأ الشباب المسلم يتوافدون إلى أرض الجهاد، فكان لنداءات الشهيد عزام الحارة صداها العميق في النفوس، وجاء الشباب المسلم من مختلف العالم

الإسلامي للجهاد والإستشهاد، وعادت الأمة الإسلامية بعد أن تمزق جسدها وتقطعت أوصالها بعد تمزيق الخلافة مرة أخرى كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو من الأعضاء وضرب من قبل الأعداء يتألم بقية الجسد، وتمثل فيها حديث رسول الله (ص) :

" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ". صدق رسول الله (ص)

وهكذا أصبحت قضية أفغانستان أكبر عقبة تواجه الشرق والغرب بعد الهزيمة المريرة التي ذاقتها روسيا على أيدي المجاهدين ، حتى أن أمريكا صارحت روسيا بذلك فقالت لها : أنت أثرت العالم الإسلامي علينا فأيقظت المسلمين وأصبحوا يتعاطفون مع هذه القضية .

إن الذي أقض مضاجع الكفر وهز أوصال اليهودية العالمية هو عودة عقيدة الجهاد فكرا وسلوكا وعملا في واقع الأرض لدى المسلمين وهم يرون أن الجهاد أصبح هو المحرك لهذه الأمة ، إذن لابد من فصل هذا الجهاد عن جسم الأمة الإسلامية ، حتى إذا ابتلع الجهاد الأفغاني لا يتألم له العالم الإسلامي ولا يحسون بذبحه .

والكل يدرك ما بذله إمام الجهاد في نقل الأخبار العسكرية للمجاهدين للمسلمين في الأرض ، ثم الدور الحقيقي والفعلي الذي قام به حقا في نقل صورة الجهاد للعالم الإسلامي وللمسلمين في الأرض.

الهدف الرابع : دفع الشباب العربي المجاهد إلى ميادين القتال داخل أفغانستان .

لقد جمع الإمام الشهيد عزام بصرخته المدوية مئات من الشباب المسلم الوافد من كل مكان ، وبدأ ينظمهم ويعبئهم ماديا ومعنويا ، ويوجههم إلى داخل الجبهات ، لخوض أشرس المعارك ضد الشيوعيين ، ووقوفهم بجوار إخوانهم المجاهدين الأفغان .

لقد كان أثر الإمام الشهيد واضحا وملموسا في دفع الشباب العربي المسلم وتحميسهم للمشاركة عمليا داخل الجبهات ، ولا تزال معسكرات التدريب التي أسسها داخل أفغانستان للمجاهدين العرب تشهد له .

إن وقوف المجاهدين العرب بجوار إخوانهم في العقيدة (المجاهدون الأفغان) كان له أثر في المشاركة فعليا في المعارك لرفع معنويات المجاهدين الأفغان ، فعندما يحس المجاهد الأفغاني أن بجواره مجاهدا عربيا ترك وظيفته أو جامعته أو شركته وجاء إلى أرض أفغانستان ; فإن هذا يدفع الأفغاني إلى الثبات في موقعه وعدم تركه ، ولو دفع له خارج أفغانستان قناطير مقنطرة من الذهب والفضة .

وأخيرا فقد سطر التاريخ بمداد من نور المعارك التي خاضها المجاهدون العرب والأفغان في ميادين النزال على أبواب كابل وجلال آباد وخوست وشمال أفغانستان وغيرها من مناطق أفغانستان ، وامتزج الدم المسلم الواحد على تراب أفغانستان ليعلن للعالم أجمع وحدة هذه الأمة وانهيار الحواجز الإقليمية والجغرافية التي اصطنعها الأعداء لتمزيق هذه الأمة ، وأنه لا سبيل إلا بهدمها حتى تعود الأمة الواحدة تحت قيادة إسلامية واحدة.

ثانياً : تحويل الجهاد الأفغاني إلى جهاد إسلامي عالمي:

ابتدأ الجهاد الأفغاني بين الحركة الإسلامية الأفغانية والشيوعيين الأفغان سنة 1975م، وخافت روسيا على ربائبها وأصنامها ، فتدخلت بأساطيلها البرية والجوية لتمكن لعملائها الشيوعيين داخل أفغانستان .

ثم ساق الله عز وجل الإمام الشهيد عزام إلى ساحة الجهاد فى أفغانستان ليكون أحد أبطال هذه المرحلة في التصدي للزحف الأحمر ، وتصد ر لنقل أخبار الجهاد وانتصارات المجاهدين ، ولقد سجل التاريخ عنه أنه قال: (والله لن يسقط هذا الجهاد وأنا حي ، سأثير العالم الإسلامي كله لأجل الجهاد الأفغاني)، وكان من فضل الله تعالى فعلا داعية بمعنى الكلمة لهذا الجهاد في أرجاء العالم العربي والإسلامي ، بل في أطراف المعمورة ، وكان لسانه الناطق وعقله المفكر، وقلبه النابض .

آمن بأن الجهاد طريقا لخلاص هذه الأمة من الذل والهوان ، فكان يدعو إلى هذه الفكرة بلسانه وسنانه ، بالخطابة والكتابة والمحاضرة أولا ، بل حتى الحديث العادي كان يحث على الجهاد في جلساته، والذي جعله يؤثر في الناس ويكون قدوة للآخرين أنه لم يكتف بالخطابة والكتابة عن الجهاد ، بل حمل السلاح وجاهد بنفسه في سبيل الله ، فكان يسهر حتى ينام الناس ، ويتعب حتى يستريح غيره من المسلمين ، فحمل على عاتقه عبئا ثقيلا ، وما من عبادة أشق على النفس مثل عبادة الجهاد (القتال في سبيل الله).

ثالثا : كان كالترس للجهاد الأفغاني :

لقد كان قلب الشهيد عزام يحترق وكبده يتفتت من الواقع الأليم الذي تحياه أمة الإسلام في كل مكان قبل فتح باب الجهاد على أرض افغانستان ، كان يتمزق أسى من المصائب التي تصب فوق رؤوس المسلمين وفي ديار المسلمين ، إلى أن أذن الله عز وجل بفتح باب الجهاد وعودة الفريضة الغائبة إلى واقع الارض عبر البوابة الشرقية للعالم الاسلامي في افغانستان المسلمة .

واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون تجربة أفغانستان مثلا للأمة الإسلامية بأنه يمكن أن يعود لها مجدها من جديد إن هي عادت إلى ربها وسلكت طريق رسولها عليه الصلاة والسلام ، ونهجت الجهاد سبيلا للخلاص ، فحقق الله عز وجل على أيدي المجاهدين أعظم معجزة للأمة الإسلامة في القرون الثلاثة الأخيرة، وهو انتصارهم على أعتى قوة برية على وجه الأرض وطرد الروس من ديارهم ، لفت ذلك أنظار قوى الكفر في أرجاء الأرض ، وبدأت دول الكفر تمهد لإنهاء قضية أفغانستان عن طريق مؤتمر جنيف بشتى الوسائل لمحاولة منع وصول المجاهدين إلى دفة الحكم، وإقامة دولتهم الإسلامية ، وقد جاءت المؤتمرات تباعا، كان أولها تحديد وضع الدولة التي ستقام على أرض أفغانستان ، فذهبوا في أطروحاتهم إلى التفكير في شكل هذه الحكومة ، فتارة يقترحون أن تكون ذات قاعدة عريضة ، وتارة يرسمونها في خيالهم دولة محايدة ، وثالثة يتاجرون بورقة ظاهر شاه للضغط على أمراء الجهاد.

وفي كل مرة كان إمام الجهاد يتصدى لمثل هذه الترهات والمؤامرات بقلمه ولسانه فيفشلها ويسقطها بالتعاون مع إخوانه أمراء الجهاد ممن يلقبونهم بالأصوليين الذين بايعوا رب العالمين على إقامة دولة المسلمين .

ولقد فطن الإستعمار الإنجليزي إلى مؤامرة قديمة نبش عليها من داخل القبور وأخرجها من جديد، وهي محاولة إثارة مسألة الوهابية في محاولة لشق صفوف المجاهدين وإثارة الأفغان على إخوانهم العرب الذين جاءوا يشاركونهم المسيرة ، ويوم أن بدأت المؤامرات على الوجود العربي في ساحة الجهاد بأشكالها المختلفة وبدأ عالم الكفر يبث سموم الفرقة هنا وهناك وتحريض الأفغان على إخوانهم المجاهدين العرب من أنهم جاءوا ليفرضوا عليكم نظام الحكم الذي يريدونه بما يقدموه لكم من أموال ومساعدات، انبرى لها إمام

الجهاد بقلمه ولسانه حتى انكشفت هذه الغمامة وزالت من فوق رؤوس المجاهدين .
ولقد كان آخر سهم أطلقه أعداء الله على هذا الجهاد قبل استشهاد إمام الجهاد هو محاولة إثارة النعرة القومية والعرقية ، فطلبوا من نجيب أن يشكل مجلسا باسم المصالحة الملية ، وحاول نجيب الله في هذا المجلس أن يثيرها حمية على العرب الذين يهاجمون كابل بالصواريخ ، فخاطبهم بقوله: (أنا أدعوكم أن يأتي ذلك اليوم الذي تأخذون فيه بثأركم وحميتكم من هؤلاء العرب).
وقد انبرى الشيخ الشهيد عزام لهذه الشبهة ورد عليها وبين خطر القومية على الجهاد الأفغاني في آخر محاضرة ألقاها في معهد أبي حنيفة قبل استشهاده بيومين أو ثلاثة ، وبدأت أخيرا المحاولات لإقناع العالم أن المجاهدين قد وصلوا إلى طريق مسدود ، وأن السلاح لن يحسم القضية ، ولابد من حل القضية سلميا عبر المحافل الدولية .
لم يعهد أعداء الإسلام عالما في القرن الأخير يقف مثل هذه المواقف الشجاعة أو يثبت مثل هذا الثبات ، لايكل ولايمل، فكلما تعرض الجهاد في أفغانستان إلى سهم يوجه إليه من قبل أعداء الله أو شبه تثار على الجهاد أو المجاهدين كان يتصدى لها الشهيد عزام بكل قوة وعزم يدفعها بما أوتي من قوة الحجة والبيان، فيطفىء نارها ويرد كيد أعداء الله إلى نحورهم .
وكلما عاود عالم الكفر النيل من هذا الجهاد فبنى بناءا لطعنه وضربه يقف في وجهه أمام الجهاد ويأتى عليه من القواعد ، فيقول أعداء الله لأجهزة مخابراتهم إذهبوا وانظروا وتابعوا هذا الرجل ولاحقوه، فينظرون إليه، ولأول وهلة يرجعون فيقولون إنه رجل كغيره من الرجال لا يزيد ولا ينقص، فيقولون لهم: ولكنه يعمل دائما على تدمير مخططاتنا، ولقد صدق قول الشاعر في هذا المقام:

وكم رجل يعد بألف رجل وكم ألف تمر بلا عداد

وأخيرا إن مما لاشك فيه أن إمام الجهاد كان بحق صوت الحق الناطق باسم الجهاد في العالم، فأراد أعداء الإسلام أن يسكتوا هذا الصوت ، ولما تحقق لهم أنه بمثابة ترس للجهاد الأفغاني ، وأنه مظلة واقية له من الأخطار الخارجية قرروا إسقاط هذا الترس حتى يستطيعوا النفاذ إلى قلب هذا الجهاد ويطعنوه الطعنة النجلاء .
لقد ضاق أعداء الجهاد بإمام الجهاد ذرعا بعد أن عجزوا وجها لوجه سواء كان في ساحة ميدان الجهاد أو عبر البيان والكلام ، فأجمعوا على تغييبه واغتياله عن طريق الأساليب الخبيثة ، وبهذا العمل اللئيم الجبان .
ولهذا تآمر عليه أعداء هذا الدين ورصدوا حركاته وسكناته ثم قاموا باغتياله وتفجير سيارته في أكبر شوارع بيشاور وفي وضح النهار.
لقد وصل الأمر - في ظني - أن تصبح دماء الشهيد عزام أجدى وأنفع للأمة الإسلامية من مداد قلمه فاختاره الله شهيدا ، وأخذ معه زهرتين من أفلاذ كبده (محمد وإبراهيم).

في التآمر على إمام الجهاد

مر العالم العربي والإسلامي بفترة كان يحر م على أبنائه النظر إلى قطعة سلاح أو التدرب عليها، فكان اقتناء رصاصة واحدة بدون رخصة جريمة يقدم حاملها إلى محكمة عسكرية، في ظل هذه الظروف فتح الله باب الجهاد على أرض أفغانستان،

فوجدها الإمام الشهيد عبدالله عزام فرصة سانحة، فوجه نداء حارا إلى شباب العالم الإسلامي، وضمن هذا النداء تأليف أول كتاب عن الجهاد سماه: ؛ آيات الرحمن في جهاد الأفغان« فقام بعض الإخوة العرب وأدخلوه إلى فلسطين بطريقة عجيبة، تحايل فيها على اليهود حيث رفع جلدة الكتاب وألبسه جلد كتاب آخر من كتب الفقه حتى يبعد الأنظار فلا يلفت نظر مراقب المطبوعات على الحدود، ثم طبع الكتاب في داخل فلسطين، وأقبل عليه الشباب المسلم بشكل منقطع النظير، مما دفع اليهود إلى ملاحقة الكتاب، ثم جمعوه وأحرقوه .

بدأ الشهيد عزام أولى خطواته بتجميع الشباب المسلم الوافد من كافة الأقطار إلى ساحة الجهاد الذين بدأوا يلتفون من حوله، وقد ظهر إمام الجهاد كرمز لهذا التجمع العربي الجهادي على أرض أفغانستان، فأحست دول الكفر بهذا التجمع الإسلامي الذي ظهر - بهذه الصورة - لأول مرة منذ سقوط الخلافة سنة 1924م .

وهنا بدأت الدول الكافرة تضغط على جميع السفارات الأجنبية في إسلام اباد لتمزيق هذا التجمع الذي وجدوا فيه خطورة على كياناتهم، وبدأت هذه الدول تفكر ليل نهار ; كيف يمكن أن تقضي على هذا التجمع وتمزقه شر ممزق ؟ وجدوا أن هذا الرمز هو مشكلتهم الوحيدة، فبدأت الضغوط عليه خصوصا بعد سنة 1986م ، وأحس الشهيد عزام بالأصابع التي تحرك هذه الحملة ضده، وتولت بعض الأجهزة المأجورة كبر المؤامرة ضد الشهيد، وبدأت الشرطة والمخابرات تلاحقه من مكان لآخر، حتى أوقفها الرئيس الراحل ضياء الحق - رحمه الله - بعد زيارة قامت بها الحاجة زينب الغزالي لباكستان، وفي أثناء وداعها في المطار من قبل الرئيس وزوجته قيل لها: هل لك من وصية ؟ قالت: نعم، إبني الوحيد عندكم، فتعجب الرئيس وزوجته من هذا القول ! لك عندنا ولد في باكستان ولا نعلم به ! قالت: نعم إبني الدكتور عبد الله عزام، فرجع الرئيس ضياء الحق وأوقف جميع الحملات ضد الشهيد، ولسان حاله يقول ويردد ماقاله: ؛أصحمة« ملك الحبشة للمسلمين يوم أن لجأوا إليه: إذهبوا فأنتم آمنون في أرضي، وهكذا قيل للمجاهدين العرب .

ولقد حاولت المخابرات الأمريكية من قبل أن تلبس الشهيد عزام تهمة كبيرة في قضية اختطاف طائرة البوينج الأمريكية التي فجرت في كراتشي، واتصلوا بأحد المسؤولين الإسلاميين وقالوا له: فجر أصحاب عبدالله عزام طائرة البوينج وقتلوا عشرين باكستانيا ، فردها إليهم وقال: إبحثوا لعبد الله عزام عن تهمة أخرى غير هذه .

وعندما رأت المخابرات الأمريكية أن الشهيد عزام أصبح شخصية مرموقة لدى أمراء الجهاد الأفغاني، وأن كلمته أضحت مسموعة عندهم، وأنه حظى باحترام شديد منهم، فقد دفع هذا بعض المسؤولين في القنصلية الأمريكية في بيشاور إلى التصريح ; بأن الذي يهمنا ويؤثر علينا في ساحة الجهاد الأفغاني هو الذي يصنع القرار السياسي فقط .

ولا ننسى إذاعة (بي بي سي) التي تحرض على وجود الإمام الشهيد في ساحة الجهاد، وكانت تردد أن هناك بروفيسور فلسطيني إسمه عبد الله عزام قدم إلى أفغانستان، وهو يقف بجوار زعماء الجهاد الأصوليين ويجمع لهم التبرعات من العالم العربي، ويحرض الشباب للقدوم إلى أفغانستان للتدرب على السلاح .

وكانت صحف اليهود تتوعد وتهدد بضرب تجمعات العرب في بيشاور، أما صحيفة يديعوت أحرانوت فقد ذكرت اسم الشهيد عزام قبل استشهاده بشهر

تقريبا ، وذكرت خطورة هذا الرجل، خصوصا وأنه يجمع الشباب الأردني والفلسطيني ويدربهم على السلاح، والذي أقض مضاجع اليهود أن هناك بعض المجاهدين ممن شاركوا في جهاد أفغانستان عاد ونفذ بعض العمليات ضد إسرائيل، وقد ذكرت صحيفة يديعوت عملية الضابط الشيشاني الأردني ضرار الذي نفذ عملية هجوم جريئة على دورية عسكرية يهودية عبر حدود الأردن مع فلسطين، ثم كتب الله له الشهادة فيها . أما إذاعة كابل فكانت لا تكف عن ذكر اسم الشهيد عزام، وكانت تحر ض عليه دائما ، وأنه جاء يغي ر عقيدة الأفغان ويبدل مذهبهم .

إننا لا نشك أن هذه الدول قد خططت لمقتل إمام الجهاد، وأن أمريكا ما جاءت برئيسة وزراء باكستان السابقة (بينظير بوتو) إلا لتنفيذ هذه المهمة .

لقد نظروا فوجدوا أنه لا مناص من التخلص من هذه الشخصية الإسلامية الجهادية التي أصبحت رمزا كبيرا أمام المسلمين في الأرض، خصوصا وأن أمريكا والدول الصليبية كانت تفكر في غزو العالم الإسلامي لمسح القاعدة الإسلامية العريضة التي تهدد وجودهم وكيانهم، وأن هذا الرمز يمكن أن تلتف الأمة الإسلامية من حوله في مثل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها ساحة المسلمين الآن، فيشكل عقبة كبيرة في طريقهم، فقرروا اغتياله وتغييبه، ولسان حال الأمة الإسلامية تردد قول الشاعر حيث كان يردده الإمام الشهيد لأمة الإسلام:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقـد البـدر

أستشهاده

لقد كان النبأ المزلزل الذي وقع على نفسي وما أظن أنني تلقيت خبرا في حياتي أشد منه ، لقد فجع العالم الإسلامي والمسلمون في شتى أرجاء الأرض وهم يتلقون نبأ استشهاد المجاهد وقائد مسيرة المجاهدين العرب في أفغانستان الشهيد الدكتور عبدالله عزام رحمه الله واسكنه فسيح جناته إثر المؤامرة الإجرامية التي تعرض لها وهو في طريقه إلى مسجد سبع الليل لإلقاء خطبة الجمعة بتاريخ 42/11/89 م، فمرت السيارة التي كان يستقلها من فوق لغم بوزن (02كغم ت. ن . ت) كان قد زرعه الحاقدون المجرمون، وبهذا العمل اللئيم الجبان .

وقد انفجرت السيارة وتطايرت أجزاؤها في الهواء، وقد نتج عن هذا الانفجار استشهاد شهيد الأمة الإسلامية الدكتور عبد الله عزام ومعه زهرتين من فلذات كبده (محمد نجله الأكبر وإبراهيم) .

وقد سارت الجموع الغفيرة وهي تودع كوكبة الشهداء(شهيدنا الغالي، ومحمد، وإبراهيم) إلى مقبرة الشهداء في بابي بعد أن صلى عليه الشيخ عبد رب الرسول سياف وجمع غفير من المجاهدين العرب والأفغان وغيرهم من المسلمين ممن حضر الجنازة .

ثم ألقى على كوكبة الشهداء بعض قادة الجهاد الافغاني يتقدمهم الشيخ سياف رئيس وزراء دولة المجاهدين المؤقتة والشيخ برهان الدين رباني أمير الجمعية الإسلامية ووزير الاعمار في حكومة المجاهدين كلمات تأبينية أشادوا فيها بدور الشهيد في مسيرة الجهاد الأفغاني وبمناقبه وخدمته للإسلام والمسلمين، كما ألقى الأخ أبو عبادة والأخ أبو يوسف والشيخ فتحي الرفاعي كلمات تأبينية، كما ألقيت أيضا كلمة على أرواح الشهداء .

كرامات شهيدنا الغالي ونجليه:

1- رائحة - المسك التي لم أر في حياتي رائحة أفضل منها - انبعثت من دمه الزكي والتي عبقت في أنوف الإخوة ممن حضر، وبقيت هذه الرائحة الزكية حتى تم دفنه .
2- حفظ جسده من التشويه رغم أن الانفجار نتج كما قلنا عن (02كغم ت . ن .ت) وقد أحدث دويا هائلا وقطع تيار الكهرباء، وحفر حفرة في الأرض، وتناثرت أجزاء السيارة في الهواء . وقد وجدت جثة الشيخ على مقربة من الحادث .
3- إنبعثت من الأولاد رائحة زكية كرائحة الحناء ويبد ولي - والله أعلم - أنها حكمة من الله: حتى نميز رائحة المسك أنها صدرت من شهيدنا الشيخ الغالي بحيث لو كان الجميع قد صدر منهم رائحة المسك لم نميز من أيهما صدرت،ومن ناحية أخرى فالشهادة درجات ومراتب .

ردود الفعل بعد حدوث الجريمة:

لقد تناقلت وكالات الانباء العالمية هذا الخبر بشيء من التعتيم في بداية الأمر، ولكن عندما شعروا أن الأمر جد خطير وأن العالم الاسلامي بمختلف فئاته قد نزل عليه الخبر نزول الصواعق وأن هذا الخبر قد زلزل القلوب والعقول نظرا لاختفاء منارة كانوا يستضيئون بها، ثم بدأوا يوحون إلى أوليائهم أن يتعاطفوا مع هذا المصاب الجلل لأمر يخفونه في أنفسهم .
وهو أنهم بعد أن قتلوا هذه الشخصية الاسلامية الجهادية التي طالما كانوا يترصدون لها يريدون أن يجهضوا المنهاج الفكري الجهادي الذي خلفه للجيل المسلم فيكونون قد قتلوه حيا وقتلوا المنهج الجهادي الذي خلفه لتتربى عليه الاجيال المسلمة من بعده .
أصداء الجريمة على نفوس

قادة الجهاد الأفغاني:

لقد نزل هذا الخبر المزلزل على نفوس قادة الجهاد الافغاني نزول الصواعق على البشر، وقد كان من المقرر أن يتوجه شهيدنا مع قادة الجهاد الأفغاني إلى إسلام آباد صباح يوم الجمعة، ولكنه قرر أخيرا أن يسافر بعد صلاة الجمعة .وقد كان قادة الجهاد متوجهون إلى إسلام آباد لحظة حدوث الجريمة، وبمجرد سماعهم النبأ عادوا فورا إلى مدينة بيشاور . وقد دخل الشيخ سياف ورأى جثث الشهداء فما تمالك نفسه من شدة البكاء، وقد أبلغني بأنه قد رأى ليلة الجمعة رؤيا بأن يديه قد قطعتا، يقول: فقمت صباحا لا أدري تفسير مارأيت في المنام! يقول الشيخ سياف: ثم تحركت إلى أسلام آباد وفي نفسي شيء من هذه الرؤيا، وعندما تلقيت الخبر عبر الهاتف عرفت تفسير هذه الرؤيا.
لقد سمعت سيافا يقول: لقد رافقت الشهيد عبدالله في كثير من الرحلات داخل أفغانستان وفي خارجها، فكنت والله أستصغر نفسي أمام فقهه وعلمه .
ومن جهة أخرى صرح المهندس قلب الدين حكمتيار رئيس الحزب الاسلامي ووزير الخارجية لدولة المجاهدين المؤقته أن استشهاد المجاهد الكبير الدكتور عبدالله عزام قد ترك فجوة في مجال الحركة والعمل الإسلامي، وأضاف يقول في كلمة ألقاها في بيت الحكومة لرئيس وزراء دولة المجاهدين - حيث كان بيت الأجر - أن الشهيد كان شخصية نادرة بين العلماء في هذا العصر .
وأضاف حكمتيار :إنني إذ أمر الآن في شوارع بيشاور فأرى الشباب العربي فأشعر أنهم أصبحوا كالأيتام بلا والد بعد رحيل شهيدنا عن الدنيا .وقد كان لاستشهاد الشيخ أعظم الأثر على نفوس المجاهدين والمهاجرين الافغان.

يقول الشيخ برهان الدين رباني وزير الإعمار في دولة المجاهدين المؤقته:
عندما سمع المجاهدون الافغان بل والمهاجرون نبأ استشهاد الشيخ عبدالله عزام كأن زلزالا ضرب أرض أفغانستان .

ماذا خسر المسلمون بفقدان إمام الجهاد

مما لا شك فيه أن العالم الإسلامي الآن يعيش فترة تخبط واضطراب، وهذا راجع في نظري إلى ثلاثة أسباب:

الأول: دخول الجيوش الصليبية الغازية إلى قلب العالم الإسلامي لمسح القاعدة الإسلامية العريضة في المنطقة .

الثاني: عدم ترشيد وتوجيه الصحوة الإسلامية توجيها سليما والإستفادة من نهضتها .

الثالث: عدم الإستفادة من ثمار الجهاد الأفغاني حتى الآن. إنني أقول في تعقيبي على هذه الأسباب:

إن العدو اليهودي الصليبي الإلحادي قد حدد عدوه بالدقة، فرأى أن الإسلام هو عدو اليهود والنصارى والملاحدة في الأرض، وأنه لا يمكن أن يقر لهم قرار إلا بعد سحق الإسلام نهائيا من المنطقة الإسلامية، ولا يمكن أن يسحق نهائيا إلا بقلعه من جذوره إلى الأبد .

هذا هو تخطيطهم وهذا هو رأيهم، ولقد حاولوا أول مرة سنة 1924م عن طريق ضرب الخلافة الإسلامية وإسقاط رمزها - السلطان عبد الحميد - ليأتي دور الذئب الأغبر مصطفى كمال أتاتورك ليقمع الإسلام من القمة، ويحول الخلافة إلى دولة علمانية، وبالفعل سار بها شوطا كبيرا لعلمنتها، حتى وصل الأمر إلى اعتبار المجاهرة بالصلاة والعمرة علانية من قبل المسؤولين في الدولة جريمة سياسية يقدم فاعلها للمحاكمة لينال أشد العقوبات .

يقول الإمام الشهيد عزام في مذكراته:

لقد كنت سنة 1969م في قاعدة من القواعد التي تعد الشباب لفلسطين، وكان في زيارتنا الصحفي المعروف محمد شوكت، وهو صحفي مسلم، وكان سليمان ديمريل آنذاك في زيارة للسعودية ليعقد معاهدة اقتصادية، وطلب من المسؤولين هناك أن يؤدي العمرة خفية وخلسة أن لا يراه أحد، وأن لا تؤخذ له صورة وهو في ثياب الإحرام، لأنها جريمة سياسية يحاسب عليها رئيس الوزراء، يقول محمد شوكت: أنا مستعد أن أدفع مبلغا لمن استطاع أن يحصل لي على صورة لديمريل وهو في ثياب الإحرام . هكذا وصل الأمر بحاضرة الخلافة في اسطنبول بعد ضربها وتدميرها، وتمكن عالم الكفر من قطع شجرة الإسلام من الساق، فعادوا يفركون أيديهم فرحا بأنهم قد قضوا على الإسلام وإلى الأبد، وإذا بشجرة هذا الدين قد عادت فأنبتت فروعا خضراء جديدة متمثلة بالصحوة الإسلامية العالمية المباركة، فعاد اليأس وخيم على الكافرين، فبحثوا عن السبب، وإذا بجذور هذه الشجرة في أعماق الأرض، فأدركوا أنه لابد من قلع هذه الشجرة من جذورها .

والجميع يتفق أن هذه الفروع الخضراء التي نبتت لشجرة الإسلام هي الصحوة الإسلامية التي شهدها العالم الإسلامي في الثلث الأخير من القرن العشرين، وقد أشرنا من قبل أن الإمام الشهيد عبد الله عزام قد واكب هذه الصحوة الإسلامية وكان من روادها، ولكنه كان يدرك أن هذه الصحوة لابد من توجيهها توجيها سليما وإلا فإن أعداء الله يخططون ويمكرون مكر الليل

والنهار، إذن فالصحوة الإسلامية تحتاج إلى سواعد قوية ونماذج قيادية فريدة تأخذ بيدها صعدا إلى أعلى حتى لا يتم إحباطها من قبل أعدائنا عندما توشك أن تمسك بزمام المبادرة لتسليم القيادة وتنتزعها من أيدي أعدائها .

والسؤال الذي كان يطرح من قبل، كيف يمكن توجيه وترشيد هذه الصحوة الإسلامية؟ هل يكون ذلك عن طريق المهرجانات الخطابية الحماسية، ثم تنفض الجموع الهادرة وكل واحد يعود إلى بيته فينسى بعد يوم أو يومين ما تغنينا به في هذا المهرجان ؟
أم يكون عن طريق المؤتمرات التي تقام هنا وهناك كل عام مرة واحدة، ويجتمع الدعاة والعلماء من كل مكان، ثم تنفق فيها الأموال الطائلة للأكل والشرب والنوم في الفنادق المريحة؟ إن هذا ليس هو الطريق للإستفادة من نهضة الشباب وصحوتهم الإسلامية، لقد سمعت الإمام الشهيد عزام يعقب على أحد هذه المؤتمرات التي شهدها قبل استشهاده بفترة قصيرة يقول: والله أنا شخصيا لا أستفيد من مثل هذه المؤتمرات، وإن هؤلاء الشباب - وكان يشير إلى مجوعة قادمة من داخل أفغانستان، وقد تدربوا على السلاح وخاضوا غمار المعارك - أفضل عندي من كل هذه المؤتمرات، وإن أمثال هؤلاء الشباب هم الذين يدفعون بالإسلام عمليا إلى الأمام في واقع الأرض .
ثم يأتي التساؤل الأخير : لعل البعض يرى أن توجه الصحوة الإسلامية يكون بدفع الشباب المسلم لأداء العمرة سنويا برحلات جماعية، هل يكون الترشيد والتوجيه لهؤلاء الشباب بهذه الطريقة ؟ أم بدفعها إلى ميادين الجهاد، حيث الرجولة والفروسية ؟
أظن أن واقع المسلمين الان يجيب على هذا السؤال بوضوح، وطرحه بل لقد عبر الإمام الشهيد عزام في الإجابة على مثل هذا التساؤل بقوله: إن مليونا من المسلمين ممن يطوفون حول بيت الله العتيق لا يهزون شعرة واحدة في جلد كافر .
من الذي يهز الكفر والكافرين ؟ إنهم جند الله الذين امتشقوا أسلحتهم وهم يملكون تنفيذ إرادتهم متى شاءوا - بإذن الله - يقفون في وجه أعداء الله يقولون لهم نحن هنا، إنه الإسلام المسلح الذي يقض مضاجع الكفر والكافرين .
ولهذا كان الإمام الشهيد يحرص على أن ينفر الشباب المسلم إلى ساحات الجهاد، وكان يقول لأمة الإسلام: لا تخافوا من هؤلاء الشباب النافرين للجهاد، ولا تخافوا عليهم، فهم طلائع أقوامهم وروادهم، وهم عدة المستقبل، وجاءت الأحداث الأخيرة التي يشهدها العالم الإسلامي لتثبت بعد نظر الشهيد عزام، حيث تلفت المسلمون حولهم حينما حارت العقول واضطربت الأفئدة، وبدأت الأنظار تتوجه إلى هذه المجموعات التي تربت على يدي الإمام الشهيد عزام على أرض أفغانستان .
وفي وسط الأحداث والظروف العصيبة التي يمر بها الخليج تطلع العالم الإسلامي برمته إلى ساحة الجهاد في أفغانستان، فنظر الذين يقاتلون أعداء الله إلى هذه الساحة لينالوا موافقة المجاهدين ووقوفهم بجوارهم ضد أعداء الله من اليهود والنصارى، ونظر الذين يقفون في خندق واحد مع النصارى إلى المجاهدين كي ينالوا عطفهم وموافقتهم لما هم عليه، ليكون المجاهدون بأيديهم ورقة رابحة يراهنون بها أمام العالم الإسلامي على مشروعية عملهم ووقوف الصليبيين بجوارهم، ومع الأسف الشديد فإن بعض السذج وقع فريسة لهذا الرهان دون أن يدركوا خطورة الموقف الذي يترتب على هذا الاندفاع وهو

الطعنة النجلاء لهذا الجهاد العظيم الذي قدم في طريقه ما يزيد على المليون ونصف المليون من الشهداء، فيظهر المجاهدون بهذا الموقف أمام العالم أنهم ربائب لأمريكا، وأنها كانت خلف هذا الجهاد طيلة سنواته الماضية تمده وتدعمه، فيثبت بالدليل العملي للمسلمين ما كانت تروجه وسائل الإعلام العالمية لتدمر الجهاد الأفغاني، فيقال بعد ذلك للمسلمين (الأيدي المحسنة) الذين كانوا يدعمون هذا الجهاد بأموالهم : أما قلنا لكم إن الجهاد في أفغانستان كان بدعم من أمريكا وأنه كان بين أمريكا وروسيا؟ وبذلك يصل التشكيك إلى قلوب المحسنين فيكفوا عن البذل والعطاء لهذا الجهاد المبارك، ولكن النماذج القيادية الصادقة ممن يلقبونهم بالأصوليين لم تنطل عليهم هذه الحيلة ورفضوا أن يرسلوا مجاهدا واحدا لدول الخليج حتى لا يطعن هذا الجهاد الطعنة النجلاء .

لقد كان منهج الإمام الشهيد عزام في توجيه هذه الصحوة الإسلامية يتمثل في دفع طلائع هذه الصحوة للقدوم إلى أفغانستان ميدان الإعداد والتدريب، حتى إذا جد الجد وحانت ساعة الصفر وجدت هؤلاء الليوث روادا لأقوامهم ينيرون لهم الطريق إذا ادلهم الظلام، ولهذا كم كان إمام الجهاد يحث قادة العمل الإسلامي على أن يرتقوا من مرحلة التخطيط والتنظير إلى دور التنفيذ والعمل .

كان رحمه الله يناشد القيادة باستمرار بعد أن ربت أفرادها الحركة الإسلامية على أن الجهاد سبيلها والموت في سبيل الله أسمى أمانيها أن تنقل هذا الهتاف النظري إلى مرحلة التطبيق العملي كسلوك واقعي يشاهده الناس أمام أنظارهم .

وكان يؤكد لهم أن الجاهلية المعاصرة لا تفهم إلا لغة السيف، فهي لها جيوشها المدربة وسلطاتها المسخرة لإسكات صوت كل حق، وإطفاء كل نور وتعتيم كل نار في العالم، وهي بهذا لا يمكن أن تتخلى عن قيادة العالم بسهولة، ولا يمكن أن تتنازل عنها بإرادتها، وأكبر دليل على ذلك أن عالم الكفر عندما أحس بهذا التجمع الإسلامي المسلح على أرض أفغانستان وشعر أن روح الجهاد بدأت تسري في دماء المسلمين في كل مكان سارع الصليبيون واليهود لأخذ زمام المبادرة من أيدي المسلمين ليجهزوا على الإسلام من القواعد بعد أن فعلوا فعلتهم في تدمير قمته .

وعندما غزي المسلمون في عقر دارهم، وراح الصليبيون واليهود يصولون ويجولون في ديارهم بدأ المسلمون يتلفتون حولهم، ويتساءلون من يقود هذه الأمة الحائرة ؟ من يحمل الراية بعد الشهيد عزام ؟ وقال الناس: يا ليت لنا واحدا مثل الشهيد عزام يقودنا في ميادين الجهاد إلى فلسطين، فالمنطقة الآن في حالة غليان، ولكنها تحتاج إلى شخصية قيادية إسلامية عسكرية، تتقدم لتأخذ بزمام المبادرة، وتبدأ بتعبئة الأمة ورص صفوفها للإلتحام مع العدو الصليبي الحاقد واليهودي الماكر .

والأن الجميع يدركون لماذا استهدف إمام الجهاد الشهيد عزام دون غيره لماذا لم يختاروا جمعا كبيرا من العلماء الذين يتجمعون في المؤتمرات العامة فيفجروا فيهم القاعة التي يتواجدون فيها بدلا من تفجير سيارة تقل الشهيد عزام إلى صلاة الجمعة وهو في طريقه إلى مسجد سبع الليل ؟

إن إمام الجهاد الشهيد عزام كان كالعملة الصعبة - للأوراق النقدية - للعلماء والدعاة في الأرض، فالذهب الأصفر هو التغطية الذهبية للعملات الورقية وهم العلماء، فعندما استشهد الإمام عزام وافتقده المسلمون تكشفت جميع

العملات الورقية على حقيقتها وبانت قيمتها أمام الكافرين في الأرض، فكم خسر المسلمون بفقدان إمام الجهاد؟!

صلة الشهيد إمام الجهاد"بالحركة الإسلامية"

شب إمام الجهاد في القرن العشرين في أحضان أسرة كريمة عرفت بالتدين بأصولها وفروعها، بل كان أهالي القرية - ولازالوا إلى يومنا هذا - يطلقون على هذه العائلة ؛ عائلة عزام" المشائخ" ، وأصحاب اللحى، نظرا لكثرة الأفراد فيها ممن يرخون لحاهم، لأن معظم الناس كانوا قد اعتادوا على حلق لحاهم . وفي ظل هذه العائلة نشأ شهيدنا الغالي وترعرع، ورضع من لبانها وهو صغير، وشرب من معينها الصافي، كان نبوغه مبكرا من بين أقرانه، وهو لم يتجاوز سن البلوغ، ولازال يومها طالبا في المرحلة الإبتدائية .

وفي ظل هذه القرية - سيلة الحارثية - التي طوت بين أحضانها إمام الجهاد وهو صغير تعر ف على شاب من شبابها كان يتوقد حماسا للدعوة إلى الإسلام، وهو الأستاذ شفيق أسعد عبد الهادي - رحمه الله-، وهو من سكان القرية، وحصلت علاقة وطيدة بينه وبين الشهيد، وعلى صغر سنه إلا أن القلوب قد تآلفت وتعارفت، وأخذ هذا الشاب بيد الشهيد قبل أن يبلغ سن الحلم، وعر فه وفتح عينيه على دعوة الإخوان المسلمين . وقد كان الأستاذ شفيق أسعد مع مجموعة من العلماء قد شكلوا نواة صغيرة للحركة الإسلامية في مدينة جنين من بينهم مفتي المدينة الشيخ توفيق جرار وأخوه الشيخ فريز - رحمه الله - والشيخ محمد فؤاد أبو زيد مدير أوقاف المدينة حاليا ، والشيخ سعيد بلال، وكان الشهيد يومها على اتصال بهؤلاء العلماء، فواكب بذلك تأسيس فرع للحركة الإسلامية في مدينة جنين في الخمسينات، وقد شكل أمام الجهاد/ الشهيد عبد الله عزام الشهيد أول أسرة اخوانية في القرية وهو لازال طالبا في المرحلة الإعدادية .

وبدأ الشهيد يتصل بأبناء الحركة المؤسسين وهو في سن مبكر، فتعرف على الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن الذي كان يتردد على قرية الشهيد للقاء بشاب صغير لم يتجاوز المرحلة الإبتدائية اسمه عبدالله عزام، كان يرى مخايل الذكاء والنجابة تلوح على وجهه، وقد زار المراقب العام للدعوة القرية أكثر من مرة كان آخرها - كما أذكر - سنة 1964م عندما توفي الأستاذ شفيق أسعد، وقد جاء لحضور جنازته - رحمه الله رحمة واسعة .

وبعد وفاة الأستاذ شفيق نهض الشهيد يومها وأخذ على عاتقه حمل الراية من بعده، وأخذ يشق طريق الدعوة بالتعاون مع إخوانه في مدينة جنين في وسط تيار عاصف، حيث كان الإعلام الناصري والتيارات المخالفة للإسلام تسيطر على الشارع الفلسطيني، وكان الإسلام غائبا في وسط الشباب، موجود شكليا بين كبار السن الذين بقوا على ولائهم العاطفي الغامض للإسلام بفعل وراثته عن الآباء والأجداد .

ومما أذكر يومها لم يكن يجرؤ واحد من أبناء الحركة الإسلامية أن يتظاهر علنا بذلك - باستثناء الشهيد - حيث كان يجاهر بانتسابه لحركة الإخوان بين أهالي القرية، أما بقية الشباب المسلم فكانوا يتوارون حياء (خجلا) إذا ذكر لفظ (الإخوان المسلمون) أمام الناس، لأن الدعوة يومها كانت مجهولة - تقريبا - لدى الناس، ولأنه لم يكن معهودا تردد الشباب بكثرة على المساجد، مما جعل الشهيد عزام - رحمه الله - يعقب على تأليف سيد قطب كتابه المستقبل لهذا الدين بقوله: (يبدو أن سيد قطب غارق في أحلامه) .

وحق لإمام الجهاد يومها أن يقف متعجبا من نظرة سيد قطب للمستقبل لأنه كان يتلفت حوله ليرى بريقا من الأمل يحدوه ليطبق هذه النظرة على الواقع فلم يجد .
في وسط هذه الظروف الصعبة بدأ الشهيد يشق طريق الدعوة بين صفوف شباب القرية، وبدأ ينظم حلقات الأسر ويعطي الدروس الدينية في مسجد القرية، وقد واجهته عقبات في طريقه استطاع أن يتخطاها بفضل الله تعالى .
لقد كان للحركة الإسلامية خصوصا مؤسسها الشهيد حسن البنا (رحمه الله) أشد الأثر في تكوين شخصيته الحركية، وكان معجبا برسائل البنا، ولازلت أذكر ماكان يقوله الشهيد بشأنها ونحن نتتلمذ على يديه، ونحن صغار، كان يقول: (هذا المنهج الذي وضعه البنا إنما هو فتوح من الله تعالى، فقد وضع أسس الحركة الإسلامية ولم يسبقه في ذلك أحد) وكان يوزع هذه الرسائل الصغيرة على مجموعات أسر الإخوان التي نظمها في القرية ويطالبهم بحفظها وفهمها جيدا .
كما تأثر الشهيد عزام بفكر سيد قطب وكان قد واضب على مطالعة كتبه وهو صغير، ولقد سمعته قبل استشهاده بفترة قصيرة يقول:؛لقد تتلمذت في حياتي وتأثرت في كتاباتي بأربعة: سيد قطب فكريا ، والنووي فقهيا ، وابن تيمية عقديا ، وابن القيم روحيا «.
وأخيرا كان في مقدمة الدعاة البارزين في العالم الإسلامي، وقد اشتهر وذاع صيته وهو لم يتجاوز العقد الرابع من عمره، فأصبح بفضل الله ثم بفضل نشاطه وتجرده في الدعوة شخصية إسلامية عالمية، وقلعة صلبة في الدعوة يعجز عن الوصول إليها كبار العلماء والدعاة في العالم .
مواكبة الشهيد ؛إمام الجهاد«للصحوة * الاسلامية
بدأ إمام الجهاد نشاطه في الدعوة على مستوى القرية التي ولد فيها، يربي أقرباءه وأبناء بلده بالقدوة بأفعاله قبل أقواله، فأحبوه كثيرا ، وبدأ يلقي الدروس الدينية في مسجد القرية قبل أن يتجاوز العقد الثاني من عمره، فأحبه الناس عموما وأقرباؤه خصوصا ، حيث كان بارا لهم يرشدهم إلى الخير، ويعمل على صلاح دينهم ودنياهم، فكانوا يأنسون به ويفرحون بلقائه .
ثم امتد نشاطه على مستوى الحركة الإسلامية في مدينة جنين، فكان دائم الصلة بإخوانه يود أن لا يفارقهم لكثرة محبته لهم وشوقه للقاء معهم، وعندما خرج من القرية ؛ مسقط رأسه« ترك فراغا كبيرا في مجال الدعوة والإصلاح بين الناس، ومع ذلك بقي أهالي القرية بعد خروجه إلى الأردن يراسلونه ويسألون عنه، وهو بدوره كان دائما يسألني عنهم، كيف حال فلان ؟ سلم على فلان، نظرا للمودة القلبية التي كان يكنها لهم والصلة التي تربطه بهم .
صحوة إسلامية مباركة:
بدأت الحركة الإسلامية تشق طريقها في وسط الشباب ببطء، لأن اتجاه الشباب كان منصرفا عن التوجه إلى الله، وكان يعز عليك أن تجد شابا ملتحيا يتردد على المسجد، أو أن تجد فتاة ترتدي اللباس الشرعي .
ويوم أن ذهب الشهيد عزام لمواصلة دراسته العليا في الأزهر سنة 1791 لم يكن في جامعة القاهرة سوى بعض الفتيات يرتدين اللباس الشرعي، وخلال عقد من الزمن بدأ هناك توجه من الشباب والفتيات إلى هذا الدين، فحيثما توجهت الى جامعات القاهرة أو غيرها ترى مئات الشباب المتحمس للإسلام، وتجد مثل ذلك من الفتيات ممن يغلب عليهن الزي الشرعي، ومئات المنتقبات اللواتي يلبسن الخمار .

وفي فترة إعداد الشهيد عزام للدكتوراه تعرف على آل قطب عن قرب، وكان يتردد عليهم كثيرا ويزورونه، فأخذ عنهم أخبار الشهيد سيد قطب، وفترة سجنه وإعدامه، والمحن التي تعرضت لها عائلته، والفتن التي تعرضت لها الحركة الإسلامية أثناء اعتقال أفرادها، وهنا بدأت المخابرات المصرية تلاحق الشهيد من مكان لآخر، ويبدو أن معلومات وصلت إليهم أن هذا الرجل هو الذي إستنكر على عبدالناصر إعدامه لسيد قطب، لأنني كما أذكر كان الشهيد عزام - رحمه الله - قد أرسل من فلسطين برقية إلى القاهرة يستنكر فيها إعدام هذا المفكر الإسلامي.

ولا شك أن الشهيد عزام قد أخذ دفعات قوية من صبر آل قطب على الأذى والتعذيب فصبرهم أعطاه دروسا عظيمة في الصبر على طريق الدعوة وعقباتها، وثباتهم أعطاه مزيدا من التصميم والمضي في هذا الطريق، ورجع إمام الجهاد من القاهرة سنة 3791م إلى الأردن بعد أن أنهى الدكتوراة بنفسية جديدة، وهمة عالية، واندفاع وحماس شديدين.

وأذكر يومها كنت طالبا في الجامعة الأردنية، فعمل الشهيد عزام فترة وجيزة مسؤولا في قسم الإعلام بوزارة الأوقاف، فظهر دوره البارز في تنشيط الدعاة، والعمل على تنظيم دروس الوعظ والإرشاد في مساجد العاصمة ومدنها، وكل من عايش المرحلة السابقة لهذه الفترة يدرك تماما كيف كانت الحركة بين الشباب المسلم، كيف كانت شبه جامدة تسير ببطء شديد، بل كان الشباب المسلم يتوارى حياء (خجلا) من إسلامه، كان الواحد منهم لايجرؤ أن يرخي لحيته، والفتاة المسلمة تستحي أن تخرج بثوب طويل بينما الفتاة النصرانية كانت ترخي صليبها على صدرها، وكان الشاب النصراني يتباهى بل يتظاهر بوضع الصليب في عنقه .

في ظل هذه الظروف رأى الشهيد عزام أن دوره في الجامعة الأردنية أجدى وأنفع، حيث العمل للإسلام في الوسط الشبابي، فتقدم بطلب لوزارة الأوقاف لنقل إلتزامه إلى الجامعة الأردنية للتدريس في كلية الشريعة، وفعلا بدأ الشهيد عمله في وسط الشباب والفتيات على مستوى كلية الشريعة، ثم بدأ يخترق صفوف الطلبة في مختلف كليات الجامعة، وكانت إدارة الجامعة قبلها بسنة قد اتخذت قرارا للعمل بنظام الساعات المعتمدة بدلا من نظام السنوات مما أتاح لبقية الطلاب والطالبات من مختلف الكليات أن يسجلوا مواد مشتركة مع طلاب كلية الشريعة، فكان هذا عاملا مهما مك ن الشيخ الشهيد من إيصال كلماته إلى جميع طلبة الجامعة.

وبدأ صوته يدوي بين طلبة الجامعة وأروقتها، فترددت أصداؤه، وتناقل الطلاب والطالبات أخبارا سارة، بان دكتورا يدرس في كلية الشريعة مارأينا مثله أبدا اسمه عبدالله عزام، وأخذ الطلاب والطالبات يتوافدون على محاضراته، وبدأ يذكي في نفوسهم الحماس الشديد للإسلام، والعودة الى الله والتزام أوامره، والعمل لدينه والبعد عن الفحش والتفحش والإختلاط، فكان أول من عمل على فصل الطلاب عن الطالبات في كلية الشريعة.

كما شجع الشباب على إرخاء لحاهم، وأظهر لهم أن هذه الشعيرة الإسلامية التي أميتت لابد من إحيائها، مع أن معظم الطلبة قبلها لم يكونوا يتظاهرون بلحاهم وسط الجامعة، حتى أنني رأيت بعضهم ممن كانوا يدرسون في كلية الشريعة يتسللون لواذا حتى لا يراهم بقية الطلاب والطالبات في الجامعة، حيث كانت نفوسهم مهزومة وأرواحهم ضعيفة، فقوى الشهيد من عزائمهم ونفسياتهم، وأعطاهم دفعات من روحه الطاهرة، فامتزجت بأرواحهم الضعيفة لتقوى باذن الله على مواجهة ضغط المجتمع الجامعي .

وأخذت الطالبات من مختلف كليات الجامعة يلتزمن الزي الشرعي، وأخذ الطلاب يمتثلون أوامر الله ويعودون إلى كتابه، وبدأ الشهيد يصهرهم في بوتقة الإسلام، ويربطهم بالحركة الإسلامية، حيث كان الشهيد يومها يمسك بالقسم التنظيمي للجامعة الأردنية بالإضافة إلى مهامه الأخرى في الحركة الإسلامية، واتسعت دائرة العمل الإسلامي، فخرجت عن نطاق الجامعة لتشمل مساجد المحافظات المختلفة في الأردن، وتدفق الشباب على المساجد، وبدأ الشباب الراجع إلى ربه يردد: (تائبون آيبون حامدون لربنا شاكرون).
وفتح الشهيد بيته للطلاب والطالبات حتى يستزيدوا من علمه ويأخذوا من وقته وجهده، كما أقام في منزله الدروس الدينية الليلية يستقبل فيها رواد المسجد، فبارك الله له في علمه ووقته، وألقى محبته في قلوب خلقه.
وفي هذه الفترة امتد نشاط الشهيد عزام خارج الأردن، فكان يذهب إلى أمريكا بدعوة من اتحاد الطلبة المسلمين وفروعه يلقي عليهم محاضراته ثم يعود، كما كان لمحاضراته التي كان يلقيها في المخيمات والمعسكرات في مواسم الحج أثر بالغ وملموس.
وشهدت المنطقة الإسلامية صحوة إسلامية عارمة، عمت أجزاء كبيرة من العالم العربي والإسلامي، فواكب بذلك الشهيد عزام هذه الصحوة التي شهدها العالم الإسلامي في الثلث الأخير من القرن العشرين، بل كان من طلائعها وروادها . بل إن مما لاشك فيه أن دوره كان كبيرا في دفع عجلة الحركة الإسلامية في الأردن إلى الأمام، كما كان أثره واضحا وملموسا بين الجاليات الإسلامية في معظم الولايات الأمريكية، كما كان له دور بارز في الوعي الإسلامي والجهادي الذي عم الجزيرة العربية .
ولاشك أن للحركة الإسلامية الأم(الإخوان المسلمون) دورا واضحا في هذه الصحوة التي شهدها العالم العربي، كما كان للحركات الإسلامية الأخرى التي آزرتها من العالم الإسلامي دور كبير في هذه الصحوة التي عمت أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي الكبير .
وأخيرا فقد تعرض الشهيد عزام وهو في الأردن إلى مضايقات وضغوط كبيرة عندما لمسوا أثره الفعال في وسط الجامعة وبين صفوف الناس، ووجدوا أن مسار الجامعة بدأ لصالح الحركة الإسلامية، عند ذلك تحرك المؤشر الأحمر للأيدي الخفية أن تتحرك لإبعاده عن الجامعة وأروقتها كمركز هام من مراكز توجيه الشباب في المجتمع، فنفد صبر الدولة وفصلته بقرار الحاكم العسكري عام 1980م.

مدرسة الجهاد للإمام الشهيد عزام

الجهاد عبادة كالصلاة والصيام

إن مما تركه الإمام الشهيد عبدالله عزام من اجتهاد في هذا المقام ; أن الجهاد عبادة كالصلاة والصيام، كما أن الصلاة عبادة لا تسقط أبدا - بحال - إلا عند الموت، كذلك الجهاد لا يسقط عن المسلم إلا عند خروج الروح، بعد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ومع آخر نفس يطلق آخر طلقة.
كما كان يعتقد أن الجهاد عبادة كالصيام، وأنه لا فرق بين الذي يفطر في رمضان جهارا نهارا وبين تارك الجهاد في سبيل الله وهو قادر، ولكن الغريب أن الناس قد اعتادوا في هذا الزمان أن ينكروا على من يفطر في نهار رمضان عامدا ، ولا ينكرون على تارك الجهاد في سبيل الله وهو قادر، ونفهم مما تقدم أن البحث عن الجهاد واجب حيثما كان متواجدا ، وأنه لابد للمسلم أن يبذل كل ما في وسعه وجهده حتى يصل إلى أرض يقام عليها الجهاد في سبيل

الله، كما لو كان يحاول البحث عن وظيفة أو عمل له ; فيجب أن يكون الجهاد على الأقل بهذه المنزلة عند المسلمين في الأرض حتى يعذروا الى الله تعالى، وهذا الذي فهمه إمام الجهاد الشهيد عزام من قوله تعالى:
« (العنكبوت: 65) ؛ يا عبادي الذين أمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون
هذه الآية تغلغلت في روحه وقلبه، وسرت في دمه وعروقه، وفهم منها أن حياة المسلم قائمة على تحقيق العبودية لله تعالى، فحيثما استطاع أن يقوم بواجب العبودية له يفعل، ولا يشترط أن يعيش العبد ويموت في الأرض التي ولد عليها، ودرج على ظهرها، لأن بلد المسلم الحقيقية ليست التي ولد فيها، وإنما بلده التي يستطيع أن يعبد الله فيها، فإذا لم يستطع تحقيق هذه العبودية في بلده، وض ي ق عليه في عقيدته ومبدأه، فإن أرض الله واسعة، يمكنه أن يهاجر إلى أرض يستطيع عبادة الله فيها.
ولقد ترجم الإمام الشهيد هذه الآية القرآنية، وطب ق هذا المبدأ في حياته عمليا حتى لقي الله شهيدا بإذن ربه ، فبعد أن منع من مزاولة عبادة الجهاد على أرض فلسطين، انتقل إلى أرض أفغانستان ليقوم بواجب العبودية تجاه ربه، ويجاهد في سبيله، فعاب عليه القاعدون، وقالو له: كيف تترك بلدك فلسطين وتذهب للجهاد في أفغانستان ؟!فكان رده مفعما ومفحما لأولئك الكسالى، حيث أكد لهم أولا : أنه ما ترك الجهاد هناك - في فلسطين - إلا بعد أن أ غلق المسجد الذي كان يؤدي فيه عبادة القتال في سبيل الله، فحيل بينه وبين عبادة الجهاد، فليس معنى هذا أن يترك فريضة الجهاد، وإنما الواجب البحث عن
مسجد آخر يؤدي فيه عبادة الجهاد، فوجد أرض أفغانستان فانتقل إليها ليعبد الله فيها . ثم إن الجهاد في فلسطين والجهاد على أرض أفغانستان هو تحقيق لمعنى عبودية الله تعالى، وأن الجهاد فريضة العمر لا يرتبط بزمان
أو مكان، أو بتعبير آخر: أن الجهاد لا يرتبط بأرض ولد عليها الإنسان، وإنما يرتبط بعمر الإنسان، ولا ينتهي الجهاد حتى ينتهي عمر الإنسان، وهذا الفهم الدقيق الذي فهمه إمام الجهاد هو عين عقيدة أهل السنة والجماعة، استنبطه من نص صريح جاء على لسان سيد المرسلين ص أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، لا يبطله جور جائر ولاعدل عادل، ولهذا يقول الإمام الشهيد: « إن رسالة الجهاد ملازمة للحياة، والجهاد لا ينتهي حتى يخرج آخر نفس من البدن .
أي أن الجهاد فرض في عنق كل مسلم مادام يمشي فوق الأرض، وقادرا على حمل السلاح، والدماء تجري في عروقه، ولا يجوز للمسلم أن يتلعثم أو يستحي من الجهر بعقيدة الجهاد التي تعتبر جزءا من ديننا، وإن الذي يستحي من هذا كالذي يتوارى من الناس خجلا وحياء وهو ذاهب إلى المسجد لأداء الصلاة، يلتفت يمينا وشمالا محاولا أن لا يراه أحد .
ثم هناك نقطة أخرى لا بد أن تكون واضحة لدى المسلمين وهي ; أنه إذا وصل المسلم إلى أرض الجهاد لا يجوز له تركها بحال إلا أن يرتفع شهيدا إلى ربه أو منتصرا على أعدائه، ليقوم بعدها بنقل هذا الجهاد إلى مكان آخر حتى تطهر بلاد المسلمين من دنس الكفر والكافرين .
كما لا يجوز للمجاهدين أن يضعوا السلاح بعد أن رفعوه في وجه أعدائهم، ويتركوا الجهاد بحجة أنهم سئموا من القتل والقتال، وإراقة الدماء، أو أن أحدهم غضب من أمير الجهاد، كالذي يغضب على إمام المسجد - كما يقول الشهيد عزام - لا يجوز له أن يترك الصلاة نهائيا بحجة غضبه عليه، فهنا عليه أن

ينتقل إلى مسجد آخر ويصلي فيه، ولا يسقط عنه الفرض أبدا ، وكذلك في حال الجهاد لابد أن ينتقل إلى مكان آخر يزاول فيه عبادة القتال.

التعليم داخل أفغانستان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه باحسان إلى يوم الدين 0وبعد
من يقترب من الشعب الافغاني المسلم يلمس أن هذا الشعب بطبيعته يحب العلم والعلماء, لهذا نراه يوم أن تعرض للغزو العسكري من قبل الدب الروسي وقف الشعب بكامله خلف العلماء وقادة الحركة الاسلامية يدافع عن دينه وكيانه ووجوده 0
ومن تابع قضية الجهاد على أرض أفغانستان وواكب سير المعارك فيها يدرك ما خلفته هذه الحرب التي أمتدت قرابة خمسة عشر عاما والتي لم تنته بعد حتى - ياذن الله عزوجل بقيام الدولة الاسلامية - بعد هزيمة ساحقة وجهت إلى أعتى قوة برية على وجه الأرض 0
إن المعارك على أرض أفغانستان قد أكلت الأخضر واليابس, فمعظم المدارس في القرى والمدن قد دمرت بفعل قصف الطائرات ومدافع الدبابات 0
وقد كان على رأس من واكب الجهاد منذ البداية تقريبا - عام 2891م عملاق الجهاد الاسلامي الشهيد الدكتور عبدالله عزام رحمه الله, ولايشك عاقل أو منصف بالدور العظيم الذي قام به شهيد الأمة الاسلامية في الجهاد على أرض أفغانستان خصوصا في مجال التعليم والتربية, فقد عمل على إرساء وتأسيس دعائم التعليم داخل أفغانستان, وبين أبناء المهاجرين والشهداء لقد رأى الشهيد - رحمه الله - أن اكثر من مليون طفل من أطفال أفغانستان يتسكعون في الشوارع بدون تعليم كما أنه رأى أبناء المجاهدين الذين تفرغوا للجهاد, ولم يجدوا وقتا يخصصونه لتربية وتعليم أبناءهم فأخذ على عاتقه أن يقوم بهذا الدور في تربية وتعليم أبناء المجاهدين 0
رأى من قتل أبوه, ومن غاب أخوه, ومن هاجر عالمه بعد أن صعب عليه المقام في قرى مدمرة محطمة خاوية على عروشها 0خمسة عشر عاما مضت عليهم في أتون المعركة, تفتحت عيون أطفالهم منذ نعومه أظفارهم على هدير الدبابات وأزيز الطائرات, ودوي المدافع, ولم ير أحدا يعلمه بعد أن هدمت مدينته, وتم تدمير مسجده الذي كان يتلقى العلم فيه 0
لقد أذهلت هذه المعارك أبناء الافغان - ومع ذلك فلم يكلوا ولم يملوا - وقد قمت في بداية هذا العام باجراء تعبئة نماذج في السيرة الذاتية بين صفوف الطلبة الافغان حيث كنت أعمل كرئيس لقسم القبول والتسجيل في الاكاديمية الاسلامية, وكنت أقف أحيانا متعجبا حيث يمكث الطالب فترة من الزمن وهو يحاول أن يراجع بذاكرته ليعرف متى دخل المرحلة الإبتدائية ومتى خرج منها, ومتى انتقل من المرحلة الإبتدائية إلى المرحلة المتوسطة (الإعدادية) ومتى تخرج منها ! ولكن كما يقولون "إذا عرف السبب بطل العجب" ..
إذا عرفت أن هذا الطالب كان يسكن في بعض المناطق داخل أفغانستان فجاءت الطائرات ودمرت مدرسته فانقطع عن الدراسة ثم انتقل بعد فترة إلى مكان آخر, ودخل مدرسة أخرى لنفس المرحلة, ثم أجهزت الدبابات مرة

أخرى على هذه المدرسة .. وهكذا دواليك, فلا يعرف الطالب - في الحقيقة - متى دخل المرحلة الأولى نظرا لتعدد المدارس في أماكن مختلفة .
ولقد حرم الكثير من أبناء الشهداء والمهاجرين حق التعليم وقد حصل لإبن الشيخ سياف, حيث أن عمر ولده تجاوز خمسة عشر عاما دون أن يدخل الصف الأول الإبتدائي .
لقد رأى شهيد الأمة الإسلامية الشيخ عبد الله عزام, أن أكثر من 09% من الدعاة والمربين من أبناء الحركة الإسلامية الأفغانية قد سقطوا وقودا في ساحة الجهاد على أرض أفغانستان ففطن - رحمه الله - إلى هذه المسألة .
فعلى ساحة أفغانستان أقام الشهيد مخيمات التربية الإسلامية في مناطق مختلفة, حيث خنادق القتال لتوجيه المجاهدين وتربيتهم على أصول الإسلام ومنهاجه, كما أنشأ المدارس في داخل الجبهات حيث بلغ عدد هذه المدارس التي أنشأها حوالي أربعمائة مدرسة تشرف عليها منظمة العون الإسلامي التي كان للشهيد اليد الطولى في إيجادها, وتكاد هذه المنظمة الإسلامية -أن تكون- الوحيدة التي تعمل على ساحة أفغانستان في مواجهة المنظمات الغربية التي تعمل على خدمة الصليب .
أليس بعد ذلك من واجب العلماء والمربين أن يقدموا إلى ساحة الجهاد حتى يعلموا الأيتام وأبناء الشهداء والمهاجرين ؟ أليس واجبا علينا أن نعلمهم حقيقة هذا الدين وخصوصا أن بعضهم لا يعرف صلاة الجماعة, وحتى صلاة الجنازة ؟ بعضهم لا يعرفها فيضطرون أن ينقلوا الشهيد أحيانا إلى أماكن بعيدة للصلاة عليه, حيث أن الشهيد يصلى عليه كما في المذهب الحنفي .أليس من العار أيها العلماء أن يسبقكم الصليب بمؤسساته الصليبية ليتلقف أطفال المهاجرين والشهداء ويعلمهم ويربيهم على الكفر والزندقة !

مواقف وعبر من حياة إمام الجهاد

إن الأمة أحيانا قد تنهض برجل واحد يكون بمثابة أمة، فقد أعز الله دينه بأبي بكر يوم الردة، والإمام أحمد بن حنبل يوم فتنة خلق القرآن، وإني على يقين أن عقيدة الجهاد كادت تصبح في وجدان الأمة نسيا منسيا لولا أن الله تعالى قيض لها في القرن العشرين إمام الجهاد الشهيد عبد الله عزام- رحمه الله- الذي رسم لها الطريق من خلال مواقفه العملية في ميادين الجهاد، ومن خلال فتح باب الجهاد على أرض أفغانستان .
وحياة الشهيد كلها صفحات مشرقة، بل مواقفه كلها عبر، وفي هذا المقال سنقف على بعض المحطات في حياة الشهيد عزام للذكرى، فإن الذكرى تنفع المؤمنين:
أولا : يوم أن كان الشهيد مدرسا في الجامعة الأردنية، وفي أحد الأيام خرج من بيته قاصدا مدينة عمان لأمور تهم الدعوة،فوقف على جانب الطريق ينتظر سيارة، وفجأة وقفت سيارة أمامه <خصوصية>، فقال له السائق: إلى عمان، فقال الشهيد:نعم، فقال له:تفضل، فركب الشهيد حتى إذا وصل صاحب السيارة منطقة العبدلي عرج إلى جهة اليمين ميمما شطره دائرة المخابرات، فقال له الشهيد إلى أين ؟! أنزلني هنا فأنا ذاهب إلى وسط المدينة، فقال له السائق: نريد أن نشرب معك فنجانا من القهوة، فعرف الشهيد أنه رجل دولة ، فدخل السائق دائرة المخابرات، وإذا بمسئول في انتظاره ، قال له: يا شيخ نريد أن نتكلم معك، قال تفضل، قال له: أنت تهاجمنا على المنابر وتتكلم علينا في محاضراتك ودروسك، فقال الشهيد: نحن أمرنا الله أن نبين الحق للناس ولا نكتمه، فقال له المسؤول: اذا نفصلك من العمل، قال الشهيد: الأرزاق بيد

الله، قال المسئول: إذا نسجنك، قال الشهيد: حتى لو سجنتموني لن أسكت، وسأتكلم داخل السجن، وانتهت المقابلة بقول المسؤول للشيخ:(نأمل ياشيخ أن تخفف من صلابة موقفك).
ويوم أن وقف أحد المسؤولين في دولة عربية يناقشه حول عقيدته، وقد أحس الشهيد منه أنه يريد المداهنة (ود وا لو تدهن فيدهنون) قال له الشهيد: عقيدتي ؟! قال نعم: قال له: عقيدتي هي الإخوان المسلمين .
وفي موقف آخر لمسؤول كبير على مستوى أمير !! أراد أن يجس صلابة الشهيد، فقال له: ياشيخ أنا أريد الآن أن أسمعك كلاما قاسيا ، فما كان من الشهيد إلا أن واجهه بلطمة قوية،قال له: الذي يربطني بكم هذه الورقة، وقد استخرجها من جيبه وقال له: إن شئتم فخذوها، فما كان من المسؤول إلا أن وقف وقفة إجلال وإكبار للشيخ وقبل رأسه مكبرا فيه هذه العزة.
وبذلك جدد الشيخ عزام مواقف السلف الأول من الصحابة رضي الله عنهم، فكان خير خلف لخير سلف، وإن هذه المواقف تذكرنا بموقف ابن تيمية الذي قال لجلاديه: ماذا تفعلون بي؟! إن سجني خلوة، وإن نفيي سياحة، وإن قتلي شهادة .
ثانيا : عندما فصل الشهيد من الجامعة الأردنية بدأت أمه تبكي ظنا منها - في النظرة القريبة للأمهات - أنه قد قطع رزقه، وبدأت تلومه على هذا وتقول له: (أما يرضيك يا عبدالله أن تكون مثل الدكتور الفلاني ....والدكتور الفلاني...؟!
وبدأت تعدد له مجموعة من المدرسين في الجامعة، فسكت الشيخ ولم يتكلم، وتكلم والده الذي أجابها قائلا ويحك !! ماذا يفعل غدا أمام ربه في العلم الذي أودعه الله في صدره .
وبدأت الضغوط من الناس على الدولة لإعادته إلى الجامعة، وقد استجاب بعض المسؤولين يومها لهذه الرغبة بشرط واحد: أن يدخل الدكتور المفصول (الشهيد) إلى محاضراته على الطلبة ولايتعرض لشيء خارج المحاضرة، وبشرط أن لايرفع رأسه ولا يلتفت يمينا ولا شمالا !! وجاء الناس وهم فرحون مستبشرون بهذه الرغبة الأكيدة، وأخبروا الشهيد بها، فرفض الشهيد هذا المطلب وقال: إذا ما الفرق بيني وبين المدرسين في كلية الإقتصاد أو كلية العلوم ...أو غيرها ؟!! وهذا الموقف يذكرنا بعزة العز بن عبد السلام الذي ضرب بمواقفه أروع الأمثلة .
ثالثا : استقالته من وظيفته مرتين وتفرغه للجهاد: ضرب الشهيد بمواقفه العملية أروع الأمثلة للدعاة يوم أن أمسك الدنيا بيده وطرحها من قلبه فاستقال من وظيفته في المرة الأولى وهو في الأردن، وتفرغ للجهاد على أرض فلسطين، وهذا الموقف هو التفسير العملي من الشهيد للآية:
" وفي السماء رزقكم وما توعدون " (الذاريات: 22)
وللآية:
" وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها " (هود: 6)
وترجم الآية القرآنية:
؛وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا« (آل عمران: 541)
يوم أن انطلق يحمل السلاح يجاهد على أرض أفغانستان بعد أن جاهد على أرض فلسطين .
وقد ضرب الشهيد مثالا رائعا آخر يوم أن قدم استقالته من الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد وتفرغ للجهاد في أفغانستان ليقول للعلماء والدعاة: أما آن لكم أن تخرجوا الدنيا من قلوبكم وأن تمسكوا بها بأيديكم، وأن تحرصوا على الموت كحرصكم على الحياة ؟ وقد خاطب العلماء بقوله:(بقدر ما يزداد

عدد العلماء الشهداء بقدر ما تنهض الأجيال من رقادها وتنقذ من ضياعها وتستفيق من سباتها).
وشتان شتان بين من ينطلق من عقيدته لا إله إلا الله فيأكل بها خبزا ،وبين من يقدم رأسه هدية وفداء لـ لا إله إلا الله ، شتان بين من يمتطي هذه الكلمات وهو يمضغها كي ينفخ جيبه وبطنه من ورائها وبين من يقدم الروح والجماجم والأشلاء في سبيلها .
لقد خاطب الشهيد عزام العلماء بدمه الحار بعد أن خاطبهم بالمداد ليقول لهم الدم الزكي الطاهر: إن أردتم أن يعود للدين مجده، وإن كنتم جادين في تغيير واقعكم فما عليكم إلا أن تلحقوا بي في هذا الطريق حيث الجهاد والإستشهاد .
فالجهاد وحده هو طريق العزة والمنعة والتمكين للمؤمنين في الأرض، وإلا فالذل واقع عليكم لا محالة:

ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدنــى الحقوق ولا يحق
وللحرية الحمــراء باب بكــل يد مضـرجـة يدق

ذهب الشهيد إلى ربه تاركا الأمانة الثقيلة في رقاب العلماء والدعاة في الأرض، ويظن بعض المخدوعين ذوي النظرة الضيقة القريبة أن حياة الشهيد <إمام الجهاد> قد انتهت، وأن الموت قد فغر فاه وابتلعه ومضى بسرعة كبيرة لا يلوي على شيء - وأنهم ناجون من الموت الزؤام -، ولكن أصحاب القلوب النيرة الذين نبتت البصيرة في قلوبهم يدركون - أكثر من غيرهم - أن هذا العملاق سيبقى علما بارزا وطودا شامخا لمن أراد أن يسلك نفس الجادة التي سلكها .
(إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) رواه مسلم برقم 3762.

إمام الجهاد/ الشهيد عبد الله عزام

بين الميلاد والاستشهاد

ولد الشهيد عبد الله عزام في قرية سيلة الحارثية في لواء جنين وتقع في الشمال الوسط من فلسطين عام 1941م ، في حي اسمه حارة الشواهنة ، واسم والده الحاج يوسف مصطفى عزام . الذي وافته المنية بعد سنة من استشهاد ابنه، أما والدته فهي زكية صالح حسين الأحمد ، من عائلة ثانية لها صلة قرابة بآل عزام، وقد وافتها المنية قبل استشهاد الشيخ عزام بسنة تقريبا ودفنت في مقبرة الشهداء ببابي . وكان الشهيد لامعا منذ طفولته المبكرة ، وليس غريبا أن يكون هذا النبوغ المبكر من الشهيد عبدالله وهو لم يتجاوز سن البلوغ بعد ، فقد شهد له أساتذته ومدير مدرسته بذلك وهو لا يزال طالبا في المرحلة الابتدائية ، كما انخرط في صفوف الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون) وهو دون سن البلوغ ، ولهذا ليس غريبا أن نرى المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن (أبو ماجد) يتردد على قرية الشهيد وهو في مراحله الأولى من دراسته، وهو لا يزال في الصف السادس الإبتدائى كما ذكر هذا أبو ماجد بنفسه ، فقد كان يرى مخايل النجابة والذكاء تلوح على وجهه.

* **المولد والنشأة**
* **الجهاد في فلسطين**
* **جهاده في أفغانستان**
* **صلة بالحركة الإسلامية**
* **مواقف وعبر من حياة الأمام**
* **نقلة بعيدة في حياة إمام الجهاد**

* إمام الجهاد....أمام العلماء
* مدرسة الجهاد للإمام الشهيد عزام
* التعليم في أفغانستان
* في التآمر على إمام الجهاد
* الشهيد عزام سيد قطب الأردن
* أحياء عقيدة الجهاد
* الجانب العسكرى في حياة الإمام
* المصطلح الفقهي للجهاد
* أستشهاده
* ماذا خسر المسلمون بفقدان إمام الجهاد